



مفهوم الخارقة (دراسة في ضوء النظام المعرفي لحقيقة المصاديق)

م.د. محمد عبد الهادي شاكر العامري

قسم علوم القرآن
كلية العلوم الاسلامية
جامعة وارث الانبياء
كربلاء - العراق

البريد الالكتروني: mohammed.shaker@uowa.edu.iq

المخلص

البحث محاولة لتسليط الضوء على مفهوم الخارقة -الوارد في تعريفات المعجزة والكرامة وغيرهما - ومعناها، وحدود وقوعها، في إطار دراسة مصاديق هذا المفهوم وصحة انطباق عنوان الخارقة عليها، وتعيين الحقيقية من هذه المصاديق بما يميّزها عما عداها، ومدى صلاحيتها للتحدي تحقيقاً للهدف والغرض، معززاً جميع ذلك بأمثلة تطبيقية، وقد وقف الباحث على جملة من النتائج كان أهمها ان الأمر الخارق عن العادة والطبيعة لا يعد من المحالات العقلية والممتنعة ذاتاً ووقوعاً وإنما هو في حدود العقل، وأحكامه، وإنّ لمفهوم الخارقة مصاديق لا ثالث لهماهما المعجزة والكرامة، أما المصطلحات القريبة منهما، فهي مما يتوهم أنها من المصاديق كالسحر والشعبذة والكهانة والتنجيم وغيرها مما كان على شاكلتها. والمنهج المعتمد في هذه الدراسة، المنهج الوصفي، والمنهج التحليلي النقدي، مضافاً الى المنهج التطبيقي.

الكلمات المفتاحية: الخارقة، النظام المعرفي، الاعجاز، الكرامة، السحر .



The Concept of the Supernatural (A study in the light of the cognitive system for the reality of authentications)

Dr. Mohamed Abdel Hadi Shaker Al Ameri
Department of Quran Sciences
College of Islamic Sciences
University of Warith Al-Anbiya
Karbala - Iraq
Email: mohammed.shaker@uowa.edu.iq

ABSTRACT

The research is an attempt to shed light on the concept of the supernatural - contained in the definitions of the miracle, dignity and others - and its meaning, and the limits of its occurrence, within the framework of studying the validations of this concept and the validity of the applicability of the title of the supernatural to it, and identifying the real of these validations with what distinguishes them from their exceptions, and their suitability for the challenge to achieve the goal and purpose, reinforcing all This is with practical examples, and the researcher has found a number of results, the most important of which is that the supernatural matter is not considered one of the mental and abstaining impossibilities of subject and occurrence, but is within the limits of the mind, and its provisions, and that the concept of supernaturalism has two credentials, two of which are miracle and dignity, and the terms close to them are, Which is illusion that it is from the truths such as magic, sorcery, fortune-telling, astrology, and other things that are similar to them.

The method adopted in this study is the descriptive method, and the critical analytical method, in addition to the applied method.

Keywords: supernatural, cognitive system, miracles, dignity, magic.



المقدمة

الحمد لله الذي خلق الليل والنهار بقوته وميّز بينهما بقدرته وجعل لكل واحد منهما حداً محدوداً وأمداً محدوداً والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين والمبعوث رحمة للعالمين أبي القاسم المصطفى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى آله أئمة الهدى وأبواب النجاة الطيبين الطاهرين، واصحابه الميامين. أما بعد....

فالحقيقة التي لا تقبل الشك والتصحيح أن كتاب الله تعالى الذي انزل على قلب الخاتم محمد صلى الله عليه وآله وسلم يعد معجزة خالدة الى يوم الدين وقد وقف العلماء على حقيقة هذه المعجزة وماهيتها، وأوردوا أيضاً كثيراً من المعجزات والكرامات التي وقعت للأنبياء والأولياء عليهم السلام وعدّوها من الأمور الخارقة، إلا أنهم لم يميزوا بين المعجزة والكرامة وبين المصطلحات القريبة منهما من جهة الخارقة، فلهذا عدّ بعضهم السحر والشعوذة والكهانة وغيرها من الأمور الخارقة.

ومن هنا يريد البحث الموسوم - مفهوم الخارقة / دراسة في ضوء النظام المعرفي لحقيقة المصاديق- أن يفصل القول في مفهوم هذه الخارقة ومعناها، وحدود وقوعها، ويضع المصاديق الحقيقية لها، ويميّزها عما عداها التي ربما يتوهم أنها من المصاديق.

أهمية البحث

تتجلى أهمية البحث بأهمية الإعجاز القرآني كونه ذات صلة وثيقة به من جهة خارقة القرآن الكريم الذي هو في معرض التحدي الى يوم الدين، مضافاً الى فك التداخل بين التوصيف الحقيقي للمعجزة وبين المصطلحات القريبة منها كالكرامة والسحر وغيرها.

فرضية البحث

بيان مفهوم الخارقة من جهة وضع الشروط التي يجب توافرها في كل أمر خارق ، ومدخليتها في المعجزة والكرامة والسحر والمصطلحات الأخرى الواردة في البحث، ثم تعيين الخوارق الحقيقية - وفقاً لتلك الشروط - وتفرقتها عما يتوهم أنها من مصاديق الخارقة.

الدراسات السابقة

تعرضت الدراسات السابقة للخارقة بصورة هامشية، فقد ذكرت ضمناً في تعريفات المعجزة والكرامة والسحر، إلا أنها لم تؤطر لها حداً ولم تضع لها شروطاً وكذلك لم تتعرض هذه الدراسات الى المصاديق التي تندرج تحت هذا المفهوم ،بخلاف هذه الدراسة فقد تعرضت الى جميع ذلك مفصلاً ، ووقفت عنده ببيان واضح وجلي بما يزيل اللبس والاختلاط

منهجية البحث

استعان البحث بجملة من المناهج وذلك بحسب طبيعة الموضوع ، فقد استعان بالمنهج الوصفي التحليلي، لبيان جملة من المفاهيم، والمنهج الاستقرائي بنتائج كلمات العلماء ، وربما كان منهجاً نقدياً في بعض الأحيان ، وصولاً الى المنهج التطبيقي بعرض أمثلة تطبيقية للمعجزة والكرامة والسحر وغيرها .

خطة البحث

، لذا اقتضت الحاجة الى ترتيب البحث وجعله على أقسام ثلاثة مسبقة بمقدمة، ومثولة بخاتمة، وجملة من المصادر التي استقني منها البحث.

فالمبحث الأول يقف على مفهوم الخارقة في اللغة والاصطلاح وشروط تحققها ، في حين اختص المبحث الثاني في بيان المصاديق الحقيقية لهذه الخارقة، أما المصاديق المتوهمة- غير الحقيقية- فكانت من نصيب المبحث الثالث، وخاتمة البحث كان فيها أهم النتائج كما هو معهود ومتعارف ، وقد استعان البحث بجملة من المصادر والمراجع بهذا الشأن.



المبحث الأول مفهوم الخارقة

ورد في حدّ بعض المصطلحات كالمعجزة، والكرامة، والسحر، وغيرها كلمة (الخرق) أو (الخارق)، ويراد به الأمر الخارق للعادة والطبيعة، لكن المقصود من هذه الخارقة وما مصاديقها؟؛ وذلك للوصول الى الأنواع التي تشترك في حقيقة واحدة والتي تندرج تحت جنسها المتمثل بالخارقة، وتفصيل القول وبيانه يتأتى بما يلي:

أولاً: الخارقة لغة

الخارق صيغة اسم الفاعل من خرق، والخرق بمعنى: الشق، والطريق، والممر، أو بمعنى التحير والدهش.

فقالوا: ((خرق: خَرَقْتُ الثوب إذا شققته، وخَرَقْتُ الأرض إذا قطعتها حتى بلغت أقصاها، وبه سمي الثور مخرقاً. والاختراق: المرور في الأرض غير طريق عرضاً، واخترقت دار فلان: جعلتها طريقاً لحاجتك، والخرق: الشق في حائط، أو ثوبٍ ونحوه فهو مخروق))، [الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، دبط، دت، 4 / 149].

وقال ابن فارس (ت: 395هـ) في (خَرَقَ): ((الْخَاءُ وَالرَّاءُ وَالْقَافُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ مَزَقٌ الشَّيْءِ وَجَوِيئُهُ، إِلَى ذَلِكَ يَرْجِعُ فُرُوعُهُ. فَيُقَالُ: خَرَقْتُ الْأَرْضَ، أَي جُبْتُهَا. وَاخْتَرَقْتُ الرِّيْحَ الْأَرْضَ، إِذَا جَابَتْهَا)) [معجم مقاييس اللغة، 2 / 72]، وذكر أيضاً فقال: ((وَمِنَ الْأَبَابِ الْخَرَقُ، وَهُوَ التَّحْيِيرُ وَالْدَّهْشُ))، [ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن زكريا، 1399هـ - 1979م، 2 / 72].

ثانياً: الخارقة اصطلاحاً

يراد بالخارقة التي وردت في تعريف المعجزة، أو الكرامة أنها: ((تصرف ما وراء الطبيعة في عالم الطبيعة ونشأة المادة لا بمعنى الأمر المبطل لضرورة العقل))، [الطباطبائي، محمد حسين، 1 / 73]. أي إن الخارقة إنما تكون للطبيعة والعادة، وليست الخارقة لحكم العقل، بمعنى مخالفة العقل؛ فإن أحكام العقل ثابتة ولا يمكن تجاوزها وهي تسيير وفق نظام أيضاً، فيعتمد بحكمه على الدال والمدلول، والعلة والمعلول، والمقارنة، والمماثلة بين الأشياء، وغيرها من الأمور للوصول الى النتيجة والحكم، فعلى سبيل المثال أن من أحكام العقل هو استحالة الجمع بين النقيضين، وهو أيضاً من القوانين الطبيعية، فمن غير المعقول أن يكون الشيء موجوداً وغير موجود في آن واحد، وكذلك العقل يحكم أن الكل أكبر من الجزء، وغيرها من القوانين العقلية، وعلى ضوء ذلك فلا يمكن أن يكون الأمر المعجز يخالف أحكام العقل ويخرقها، فيجمع بين النقيضين في آن ووقت واحد.

فلهذا ذكروا إن ((العقل لا يدفع الأمر الخارق للعادة ولا الأمر المستور عن الحواس الظاهرة وإنما يدفع المحال، وللعقل طريق إلى تصديق الأمور الخارقة للعادة المستورة عن الحواس الظاهرة، فإن له أن يستدل على الشيء من طريق علة وهو الاستدلال اللمي، أو من لوازمه أو آثاره وهو الاستدلال الآني فيثبت بذلك وجوده))، [الطباطبائي، محمد حسين، 2 / 154].

ويمكن توضيح معنى الخارقة بمثال وهو أنه ((يمكن إثمار الشجرة غير المثمرة في آن لأنّ تحقق الأثمار عادة يتوقف على شرائط لا تتحقق عادة إلا بعد مضي زمان، ولكن ربّما تحصل هذه الشرائط فوراً بالإعجاز، وهذا هو معنى خرق العادة أي المعتاد المؤلف في الكون أو عند الناس))، [الشيرازي، محمد الحسيني، 1424 - 2003 م، 1 / 14].

فعلية يكون معنى العادة أو الطبيعة هي ما كان مألوفاً في الكون أو عند الناس.

ثالثاً: تحقق الخارقة

المنتجع لحقيقة المعجزة والكرامة وشروط تحققهما يمكن له أن يتصور أنّ الخارقة إنما تحقق بمجموعة من الأمور، وهي:

الأول: الأمر الخارق يتحقق بأسباب خفية، وغير معلومة.

الثاني: وقوع الأمر الخارق ناتج عن اختصار مراحل متعددة من العلة والمعلول.

الثالث: وقوع هذا الأمر الخارق للطبيعة بهذا النحو من الاختصار غير معتاد ومألوف ومتعارف عند الجميع.

الرابع: عدم قدرة الجميع على الاتيان بمثل هذا الأمر الخارق ما خلا الأنبياء والأولياء.



الخامس : حصول الأمر الخارق وتحققه بهذا النحو لا يقتصر على وقت وزمان معين وإنما هو على حد سواء في جميع الأوقات والأزمنة .

السادس : أن الأمر الخارق يمكن أن يتكرر عن صاحبه ، فمتى ما أراد بإذن الله تعالى وقع، وبخاصة المعجزة . وهذه الشروط متى ما تحققت جميعها تحقق الأمر الخارق، سواء أكان في المعجزة أم الكرامة، وبخلاف ذلك فلا تحقق له .

رابعاً :استقرار الخارقية وثباتها .

المراد بالخارقية ومعناها في البحث هي تلك الخارقية التي تصدر عن صاحبها بصورة مستقرة وثابتة وتكون متناسبة مع فاعلها ، وليس المقصود من الأمر الخارق الذي يصدر عن فاعله بصورة غير مستقرة وثابتة .

توضيح ذلك:

قد يدعى أن الخوارق خمسة،[السقاف، حسن بن علي ، سنة الطبع : 1416 - 1995 م، 422-423]، وهي : المعجزة والكرامة والإعانة والإهانة والاستدراج .

أما المعجزة والكرامة فالأمر واضح ، فالمعجزة والكرامة حينما تصدر عن صاحبها فهي تقع منهما باستمرار، دون أن تتخلفا عنهما وبخاصة المعجزة، فكلما أرادا ذلك بإذن الله تعالى وقعنا ،بمعنى أن هناك تلازم بين الإرادة والوقوع ، فهذا هو المراد بالاستقرار والثبوت للأمر الخارق ، ولا يخفى أن الفاعل الحقيقي للأمر الخارق هو الله تعالى وإرادتهما تكون بعد إرادته عز وجل ،فهناك مطابقة بين إرادة الله عز وجل وإرادتهما ، لأن ذلك يكشف عن مشيئة الله تعالى ورضاه.

وأما الثلاثة المتبقية فقد عرّفها بعضهم ، فقال،[السقاف، حسن بن علي ، سنة الطبع : 1416 - 1995 م، 422-423]:

الإعانة : وهي أمر خارق للعادة يظهره الله تعالى لإنسان عادي ليس وليا فينقذه بها من ورطة مثلا أو يخرجها من ضائقة ، كما جاء في الحديث الصحيح، [ظ: أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثنى الموصلي التميمي، (1404) - (1984)، 5/ 313] في الثلاثة التي انفرجت الصخرة عن فم الغار الذي دخلوا فيه بعدما سدته فخرجوا منه ونجوا. **والإهانة :** وهو أمر خارق للعادة يحدثه الله تعالى ضد مراد شخص يدعي الولاية أو النبوة على عكس مراده ودعواه ،كما روي أن مسيلمة الكذاب جاء لبئر مالح ماؤه فقتل فيه ليصبح ماؤه حلوا فازدادت ملوحته وصار كقناعة الحناء وغاض .

الاستدراج : وهو أمر خارق للعادة أيضا يحدث على يد من يدعي النبوة أو الولاية وهو كاذب فيقع الأمر وفق مراده مع أن حاله يدل على أنه غير مستقيم ، وبعض الفسقة اليوم يظنون أن ما يفعلونه أو يحصل على أيديهم كرامات !! فالأمر امتحان واختيار واستدراج لهم وللناس ليتبين هل سيتوب ويتقي الله تعالى أم سيبقى مغرورا بباطله ؟ ! قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأَمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾، [الأعراف: 182-183]

ويمكن مناقشة ذلك بما حصله :

أما في الأمر الخارق بمعنى الإعانة فإنه يرجع الى مصاديق الدعاء والتوفيق والتسديد ، بمعنى أنه قد يأتي الإنسان بعمل ما ويكون مرضيا عند الله عز وجل ، أو أن يدعو أو ما شاكل ذلك ، فيقبل الله تعالى منه فيخلصه وينجيه من أمر عظيم ، أو أن يستجيب له وكل ذلك عن طريق أمر خارق عن العادة ، وهذا بالحقيقة أمر ليس ثابتا على الدوام ،فقد يدعو الإنسان ويقوم بالأعمال المرضية عند الله تعالى ومع ذلك لا يقع هذا الأمر الخارق لأن الله تعالى لا يريد ذلك لمصلحة ما ، هو أعلم بها منا ، فليس هناك تلازم في ذلك ، مضافا الى ذلك أن الذي يحصل له هذا الأمر الخارق لم يصدر عنه الفعل الخارق ولم يقصده بعينه وإنما قصد النجاة من الأمر بصورة عامة بالتوسل والدعاء ومثابه ذلك ، وهذا خارج عن الأمر الخارق المبحوث عنه بمعنى أن الفعل الخارق لا بد أن يصدر عن فاعله، وعليه فلا يمكن تسمية الإعانة بأنها أمر خارق بعد ما عرفت .

والأمر الخارق بمعنى الإهانة فإن صاحب الدعوى الكاذب حينما يقع الأمر الخارق فهو لا يقع عنه أساساً وإنما وقوعه بالجملة من الله عز وجل لإثبات كذبه وإن كان ظاهره وقوعه عن المدعي وذلك لمنع المفسدة التي يريدها هذا الكاذب وبخاصة إذا ادعى منصباً من المناصب الإلهية فعند ذلك تأتي إرادة الله عز وجل بمنع هذه المفسدة ،فأغلب الأحيان أساساً لا يقع عن المدعي الكاذب أمراً خارقاً عن العادة ، ولكن لو اتفق وقوعه فإنما يقع على خلاف ما أراد من الفعل لحكمة من الله عز وجل وإبرادة منه جل وعلا ،وعليه فليست هناك مطابقة بين إرادة الله



تعالى وإرادته .
ولو سلمنا بأنه ظاهرة قد صدر عنه هذا الأمر الخارق حتى وإن لم تكن هناك مطابقة بين المدعى والواقع ، لكن مع ذلك لا يمكن للفاعل أن يكرر هذا الأمر ويقع عنه باستمرار ، وإلا لو كان كذلك لُعرف وبان واشتهر بين الناس ، فإطلاق تسمية مثل ذلك بالأمر الخارق لا يمكن قبوله .
وأما الأمر الخارق بمعنى الاستدراج فالوصف غير مقبول قطعاً ، فلا يعقل أن يدعي أحد النبوة وهو كاذب ثم يأتي بأمر خارق عن العادة وتكون مطابقة لدعواه حتى يُختبر ويُمتحن الناس به رغم فسقه ، فإن هذا لا يمكن صدوره عن الله تعالى لأن في ذلك مفسدة للعباد (لأن المعجز فيه خرق للنواميس الطبيعية ، فلا يمكن أن يقع من أحد إلا بعناية من الله تعالى ، وإقدار منه ، فلو كان مدعي النبوة كاذباً في دعواه ، كان إقداره على المعجز من قبل الله تعالى إغراء بالجهل وإشادة بالباطل ، وذلك محال على الحكيم تعالى)) [الخوني ، أبو القاسم ، (1395 - 1975 م) ، 35].
نعم قد يظن بعضهم أن ما أتى به من فعل هو أمر خارق عن العادة وهو بالحقيقة ليس كذلك ، وهو من الواضح محض توهم وجهل ، فلا يبقى مجالاً لتسميته أمراً خارقاً عن العادة .
ومما تقدم يتضح أن الأمر الخارق عن العادة يتمثل بالمعجزة والكرامة وما خلاهما فإنه لم تجتمع شروط الخارقة فيه ولعل تسميته بالأمر الخارق عن العادة من باب التجوز لا الحقيقة .
ومن هنا أيضاً يظهر ضعف من قسم خوارق العادة وجعلها على قسمين ، [عبد الجواد الإبراهيمي، (1417هـ)، 131] ، هما:
1 - الأمور التي أسبابها غير العادية في مقدور البشر أمثال أعمال المرتاضين .
2 - الأعمال الخارقة للعادة والتي لا تتم إلا بإذن إلهي خاص .
ومما تقدم يظهر أن كل أمر خارق للعادة لا بد من ملاحظة توافر شروطه ، وبخلافها لا يُعد أمراً خارقاً عن العادة.

المبحث الثاني

مصاديق الخارقة الحقيقية

الكلام حول بيان هذه المصاديق يعد ضرورة في البحث كونه يضع الأساس الصحيح لما هو داخل في وصف الخارقة، ويميزه عن خارج عنها .
وقد يتوهم في مصاديق الخارقة من جهة أعدادها وأوصافها ، فيجعل لها مصاديق عدة تندرج تحت هذا الوصف ، ومنشأ هذا التوهم يرجع لأسباب عديدة كعدم معرفة الآخرين بعلة وقوع هذا الشيء، أو جهلهم بها ، أو خداعهم بهذا الشيء من جهة صرفه عن حقيقته ، أو بعض المؤثرات التي يؤتى بها من قبل من وقع منه هذا الشيء لأجل تصديقه من قبل الآخرين ، أو غير ذلك من الأسباب .
فعلی ضوء ذلك يمكن أن تُقسم هذه المصاديق على قسمين : مصاديق حقيقية ، ومصاديق غير حقيقية ، ويمكن القول بأن المصاديق الحقيقية للأمر الخارق للعادة والطبيعة تتمثل بمصاديق حقيقيين لا ثالث لهما هما :

أولاً : المعجزة

مصطلح المعجزة - عند الباحث - هي : الأمر الخارق للعادة والطبيعة مقروناً بدعوى النبوة مع المطابقة .
وقد وردت في تعريفات أخرى أيضاً للمعجزة من أنها: (الأمر الخارق عن العادة والطبيعة) ، فما المقصود من هذه الخارقة، فهل أن معناها أمر عديم أم أمر وجودي؟ وما حدود هذا الخرق ، فهل يكون على نحو من تجاوز قوانين عليّة الموجودات التي تبتني عليها الطبيعة أم أنها تندرج ضمن هذه القوانين ولا تتعداها ؟
للإجابة عن هذا التساؤل لا بد من معرفة أن المعجزة من الأمور الممكنة ، وليست من الأمور الممتنعة ، إذ إن الوجدان يحكم بذلك؛ بعد وقوعها في الخارج ، إذ إنها لو كانت من الأمور الممتنعة لما كان لها وجود في الخارج ، وإذا كان الأمر كذلك ؛ فإن قدرة الإنسان تتعلق بها ، وهذا بخلاف الممتنعات فإن القدرة لا تتعلق بها ؛ كونها ممتنعة في ذاتها ، فليست قدرة الإنسان أو عدمها تكون دخيلة في تحققها .
ثم إن الممكنات من الأمور التي لها قابلية على الظهور والتحقق ، فإظهارها إلى حيز الوجود يفتقر إلى موجد وعلّة ، وكذلك إعدامها يفتقر إلى علّة أيضاً .
فإذا تحقق ذلك ، فالمعجزة تكون أمراً ممكناً بالوصف المتقدم ، فهذا عرف بعضهم المعجزة، فقال : ((هو الأمر الممكن الخارق للعادة المقرون بالتحدي الخالي عن المعارض)) ، [المقريري ، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد



القادر بن محمد (1420 هـ - 1999 م)، 4 / 176]. وبعد كونها - المعجزة - أمراً ممكناً تتعلق القدرة به يأتي الكلام بأن هذا الأمر الممكن ماعلة وجوده، وما السبب في وقوعه وتحققه؟

فعلة وجود الممكن بصورة عامة قد تكون ظاهرة ومعلومة ومعهودة، وقد تكون خفية وغير معلومة،، وأيضا قد يكون مما يقدر على إيجاده الآخرون، أو قد يكون غير مقدور إلا عند بعضهم، وكل ذلك ضمن قوانين الطبيعة، وهذا يجري في المعجزة أيضاً، فهل علة تحقق المعجزة ووقوعها ظاهرة ومعلومة، أم أن علتها خفية وغير معلومة؟ وهذا يعتمد على معرفة معنى الأمر الخارق في المعجزة.

إن وقوع الأفعال والحوادث غالباً ما تكون عللها وأسبابها ظاهرة ومعلومة أو متوقعة عند الإنسان وقادر على الإتيان بها، فهي - العلة - بحسب العادة متعارفة ومعهودة عنده، وضمن القوانين الطبيعية وليست خارجة عنها، إلا إن في المعجزة يكون وقوعها على نحو غير متعارف ولا معهود وفق تلك القوانين التي ألفها الإنسان وفي الوقت نفسه لا تخرج عن تلك القوانين الطبيعية، فكأنما حصل هناك خرق وشق في تلك القوانين ولكن من جهة خفاء علتها واستحالة معرفتها، والعجز عن الإتيان بها مما أخرج الأمر عن المعهود من تلك القوانين، لكن لا من جهة عدم خضوع هذا الأمر إلى قانون العلة والمعلول، غاية الأمر أن علتها غير معلومة وغير معهودة، فلا يقدر الآخرون على إيجاد تلك العلة الدخيلة في المعجزة، فهذا صار يوصف بأنه أمر خارق.

ولا ينحصر تحقق المعجزة بعلة واحدة، وإنما تتحقق بسلسلة من العلة المتتالية، غاية الأمر يحصل هناك طي واختصار لهذه العلة فتقع المعجزة دفعة واحدة، إذ الأمر الطبيعي لوقوع مثل هذا أن يقع على مراحل تتخللها فترات زمنية وفق القوانين الطبيعية وما هو متعارف، إلا إن في المعجزة يحصل اختصاراً لهذه العلة، فيورث التحير والدهشة لمن يرى هذه المعجزة، فكأنما صار شقاً وخرقاً لما هو متعارف.

وعلى ضوء ذلك ففوق المعجزة وتحققها إنما يخضع للقوانين الطبيعية من جهة العلة والمعلول، وإن كان هناك طي وخفاء لتلك العلة، وبعد كونها أمراً ممكناً فلا ملازمة بين تحقق الأمر الممكن ومعلومية العلة.

فالإعجاز لا يعني ((تبديل الممتنع بالذات إلى ممكن، بل هو اختصار مراحل الإمكان الاستعدادي للممكن بإرادة الله سبحانه، أو بقوة النبي المعنوية التي منحها الله سبحانه إياه لإيجاده ولذا يسمى خارقاً للعادة، فيمكن إثمار الشجرة غير المثمرة في أن لأن تحقق الأثمار عادة يتوقف على شرائط لا تتحقق عادة إلا بعد مضي زمان، ولكن ربما تحصل هذه الشرائط فوراً بالإعجاز، وهذا هو معنى خرق العادة أي المعتاد المألوف في الكون أو عند الناس))، [الشيرازي، محمد الحسيني، (1424 - 2003 م)، 14 / 1].

وقد يتبادر إلى ذهن من الناحية النظرية تساؤل في المقام، حاصله: هل القائم بالأمر المعجز لابد أن يكون عارفاً وعالماً بعلمه، أم أن ذلك مقتصر على من اجتباه وحباه ومن عليه بهذه القدرة التي مكنته من الإتيان بهذه المعجزة وهو الخالق سبحانه وتعالى؟ وهل هناك ضرورة لمعرفة هذه العلة في وقوع وتحقيق المعجزة، ولعل الأبحاث اللاحقة تكشف عن ذلك وتجيب عن هذا التساؤل.

وعليه فإن إتيان الأمر المعجز يكون مقدوراً عند من اختاره الله تعالى للقيام به،، بمعنى أنه قد استطاع أن يخرق تلك القوانين المتعارفة والمعتادة عند الآخرين، في حين لم يستطع الآخرون فعل ذلك، فبان عجزهم وعدم قدرتهم.

ولا يخفى أن الخارقة لا تختص بالفعل وحده، وإنما تشمل الكلام أيضاً، فقد يكون الكلام على نحو غير معهود، وغير معتاد في نظام المحاورات والخطابات، بما لا يستطيع الآخرون الإتيان به على هذا النحو، فيكون حينئذٍ خارقاً لهذا النظام، ويطلق عليه معجزة.

ومما تقدم يتبين أن الخارقة في المعجزة بمعنى أنها خارقة للطبيعة والعادة، لا أنها خارجة عن قانون العلية، فهي خاضعة له، وخاضعة لحكم العقل وإدراكاته أيضاً.

ثانياً: الكرامة

من المصطلحات التي تُعد من المصدايق الحقيقية للخارقة هي (الكرامة)؛ فهي بشكل أو بآخر تقرب من حقيقة المعجزة وجوهرها، وبت من الضروري الوقوف على هذا المصطلح ومعرفة حقيقة الكرامة؛ بغية الانتهاء إلى ما يميزها عن المعجزة، وذلك بمعرفة جملة من الأمور، هي:



الأول: المعنى اللغوي للكرامة

والكرامة عند أهل اللغة وردت بمعان عدة :

منها : ضد الهوان، [ابن دريد ، ابو بكر محمد بن الحسن الأزدي ، (1987)، 2 / 996].
منها : الحَقَّةُ ، وهي المبالغة بالإكرام ، فلماذا قالوا : هي ((الكرامة التامة، ومنه قولهم: مَنْ حَقَّنَا أَوْ رَقَّنَا فليقتصد))، [الأزهري ، (2001م)، 4 / 5].

منها : الحسب ، فلماذا ((يُقَالُ حَسِبْتَ الرَّجُلَ أَي أكرمته، و قولهم رجل حسيب أي كريم والحسب والكرم من قبل النفس والمجد والشرف من قبل الآباء))، [الخطابي ، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي ، (1402)، 2 / 214].

منها : الحبور بمعنى ((النَّعْمَةُ الْحَسَنَةُ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ لِلْعَالَمِ حَبْرٌ لِأَنَّهُ بِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ وَالْمَدَادِ لِأَنَّهُ يَحْسُنُ الْكُتُبَ))، [العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل ، (شوال المكرم 1412)، 175].

منها : الوَاقِر: الْكِرَامَةُ، [الزمخشري ، جار الله ، (1417 - 1996 م)، 4 / 129].

منها : ضد اللوم ((الكَرْمُ - بِنَحْوَيْتَيْنِ - ضِدُّ اللَّوْمِ، وَقَدْ (كَرَمَ) بِالضَّمِّ (كَرَمًا) فَهُوَ (كَرِيمٌ) وَقَوْمٌ (كِرَامٌ) وَ (كِرْمَاءٌ) ، وَ (الْمَكْرَمَةُ) وَاجِدَةٌ (الْمَكَارِمُ) . وَ (الْمَكْرَمُ) الْمَكْرَمَةُ عِنْدَ الْكِنَانِيِّ. وَعِنْدَ الْفَرَّاءِ: هُوَ جَمْعُ مَكْرَمَةٍ وَ (الْأَكْرُومَةُ) مِنَ الْكِرْمِ كَأَلْعُجُوبَةٍ مِنَ الْعَجَبِ. وَ (التَّكْرُمُ) تَكْلُفُ الْكِرْمِ ، وَ (التَّكْرِيمُ) وَ (الإِكْرَامُ) بِمَعْنَى. وَالْإِسْمُ مِنْهُ (الْكَرَامَةُ) ، وَيُقَالُ: حَمَلَ إِلَيْهِ الْكَرَامَةَ))، [الرازي ، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي ، (1420هـ-1999م) ، 286 ، (بتصرف)].

الثاني : المعنى الاصطلاحي للكرامة

اما معنى الكرامة عند أهل الاصطلاح فيمكن القول بأن المعاني اللغوية للكرامة هي بمنزلة السبب في المعنى الاصطلاحي ، ببيان أن الأمر الخارق عن العادة قد جرى على يد الولي بسبب أن الله تعالى قد أكرمه وأنعم عليه واجتباها ووقره ، وغير ذلك من المعاني التي استحق بها هذا الولي من الله تعالى هذه الدرجة التي تمكنه من الاتيان بهذا الامر الخارق عن العادة .

ثم إنه يظهر من بعض أهل الاصطلاح أنه يجعل للكرامة حداً واضحاً ، ثم يشرع بالتفرقة بينها وبين غيرها من المعجزة ، والسحر ، في حين يظهر من بعضهم الآخر تعريف الكرامة في مورد التفرقة بين الكرامة وغيرها .

فالأملي (ت:782هـ) عرّف الكرامة قائلاً: ((والفعل الذي يظهر من أحد على غير التحدي والتعارض يسمى بالكرامة وهو المختص بالأولياء))، [الأملي ، حيدر (1428)، 3 / 242].

وقال الجرجاني (ت:816هـ): ((هي ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة))، [الجرجاني: علي بن محمد بن علي، (1405)، 184].

والسيوطي (ت:911هـ) قال: ((فعل خارج عن العادة يظهر على شخص من غير دَعْوَاهُ، بِرِضَا اللَّهِ تَعَالَى))، [السيوطي، أبو الفضل عبد الرحمن جلال الدين ، (1424 هـ - 2004 م)، 75].

ومن المعاصرين من عرّف الكرامة ، فقال : هي ((أمر خارق للعادة مع المعارضة وعدم التحدي))، [ملا حويش، آل غازي عبد القادر (1382 ق)، 2 / 21].

و بالمعنى نفسه قال بعضهم أنه ((قد يكرم الله تعالى بعض أوليائه من المتقين الأبرار بأمر خارق يجريه له، ويسمى ذلك الكرامة))، [عتر ، نور الدين ، (1414هـ - 1993م) ، 191].

أو هي : ((صدور العمل الخارق للعادة من عبد لله صالح لم يدع النبوة))، [السبحاني ، جعفر ، (1419 - 1998 م)، 123].

ومما تقدم يظهر جلياً من عدم الفرق بين الكرامة والمعجزة من جهة أنّهما خارقان للعادة والطبيعة ، فكلاهما يصدق عليه أنه أمر خارق ، أما القيود الأخرى لحد الكرامة فقد حاول بعضهم أن يفرق بينها وبين المعجزة ببعض القيود من قبيل التحدي والمعارضة ودعوى النبوة وغيرها ، ولبيان حقيقة الفرق لابد من الوقوف على كلمات العلماء في ذلك ومناقشتها على ضوء ما تم الانتهاء إليه في تعريف المعجزة ، وبيان حقيقتها ؛ بغية إطرار ما ليس بضروري ، وفي الوقت نفسه الإبقاء على ما يُعدُّ ضرورياً في مقام التفرقة والتمييز .



الثالث: الفرق بين المعجزة والكرامة

ذكر بعض العلماء في هذا المقام على اختلاف كلماتهم جملة من الفوارق ، فقد وقف بعضهم على جوهر حقيقة الفارق بين المعجزة والكرامة ، وإن أضاف جملة من القيود لكل منهما إلا أن ذلك لا يعد ضرورياً للتمييز والتفرقة ، في حين خلت كلمات بعضهم الآخر من ذكر ما يكون جوهرها في التفرقة ، واكتفى بذكر اختصاص كل واحدة منهما إما بالنبي ، أو الولي ، أو ربما اكتفى بذكر عنصر التحدي أو غيره ، ويمكن توضيح ذلك بما يلي :

1- ما ذكره الأملّي (ت: 782هـ) في هذا الصدد فقال : ((والمعجز : كلّ فعل خارق للعادة يعجز عن أمثاله البشر ، والتحدّي هو أن يقول النبيّ لأمتّه : إن لم تقبلوا قولِي فافعلوا مثل هذا الفعل أو بالعكس ، أعني تقول أمّته هذا القول بعينه معارضة له مثل ما قالوا لنبيّنا : افعل كذا وكذا حتّى نصدّق بنبوّتك ، كشقّ القمر وإطاق الحجر وغير ذلك من المعجزات ، والفعل الذي يظهر من أحد على غير التحدي والتعارض يسمّى بالكرامة وهو المختصّ بالأولياء ، كما أنّ المعجزة مختصّة بالأنبياء)) ، [الأملي ، حيدر ، (1428)، 3 / 242] . ويمكن مناقشة ما ذكره الأملّي بأنّه جعل اختصاص المعجزة بالأنبياء ، والكرامة بالأولياء ، وهذا لا يعطينا الفارق بينهما ؛ بعد معرفة أنّهما أمران خارقان للطبيعة والعادة ، ولا يخفى أنّ الكرامة للولي هي معجزة للنبي كما سيأتي .

ثم إنّه أيضاً ذكر عنصر العجز والتحدّي وهما أيضاً قد اتضحا مما تقدم أنّهما متضمنان وملازمان للأمر الخارق ، فحينئذ لا يمكن التمييز بين المعجزة والكرامة من جهتهما .

2- والجرجاني (ت: 816هـ) قد أظهر الفرق بين الكرامة وبين المعجزة في تعريفه للكرامة إذ قال هي : ((ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة ، فما لا يكون مقروناً بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجاً . وما يكون مقروناً بدعوى النبوة يكون معجزة)) ، [الجرجاني: علي بن محمد بن علي، (1405)، 184] .

فهو قد جعل الفارق بين الكرامة والمعجزة في دعوى النبوة ، وهذا أمر حسن ، وهو جوهر الفارق بينهما ، وهو أيضاً ينسجم مع ما تقدم من التعريف المختار للمعجزة ، وأيضاً من مناقشة التعريفات الأخرى ، فقد تقرر أن التعريف الاصطلاحي للمعجزة إنما هو يمتاز عن الكرامة بالعنصر الثاني من عناصر المعجزة ، ألا وهي دعوى النبوة ، فالولي لا يمكن أن يدعي النبوة ، وهو قد يأتي بالأمر الخارق وليس غرضه إثبات نبوته بل قد يراد منه – الأمر الخارق – إثبات تبعيته للنبي أو الرسول ، فلماذا قالوا : إنّ ((الكرامة لا يدعي صاحبها النبوة، بل لا يتحدى بها الناس، وإنما تظهر على يده لصدقه في اتباع النبي، لذلك قرر كثير من أهل العلم كالإمام أحمد بن حنبل وغيره أن الكرامات التي تقع للأولياء هي من جملة معجزات الأنبياء، وهذا حق وصواب، لأن هؤلاء الأبرار ما كانت تقع لهم هذه الخوارق لولا اعتصامهم بالاتباع الحق للنبي صلى الله عليه وسلم، وقيامهم بدعوته، فكانت الكرامة لهم معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم، ومن ثم تقرر هذه القاعدة: كل كرامة لولي معجزة لنبي)) ، [عتر ، نور الدين ، (1414هـ - 1993م) ، 191-192] .

ثم إنّ الجرجاني قد شق من الكرامة مصطلحاً آخر وهو أيضاً يشترك مع المعجزة في الخارقة ألا وهو الاستدراج ، لكن الفارق الرئيس هو عدم الإيمان بالاستدراج بمعنى إظهار الأمر الخارق للعادة من قبل الله تعالى على يد الفاسق البعيد عن الله تعالى لكي يزيده بعدا عنه جل وعلا ، وهذا بخلاف الكرامة والمعجزة فكلاهما على يد مؤمن قريب من الله تعالى إلا أنّ دعوى النبوة في الكرامة خالية منها ، بخلاف المعجزة فهي مقترنة بها . لكن لم يصرح هل الاستدراج يكون فيه المطابقة أم لا ؟ فإذا لم تكن هناك مطابقة، ففعل ما وقع لمسيمة الكذاب خير مثال لذلك ، فيكون استدراجاً له ، وهذا هو العنصر الثاني للمعجزة – كما تقدم - ، مضافاً إلى ما تقدم في وصف الاستدراج بأنّه أمر خارق عن العادة مما لا يمكن قبوله من الأصل ، إذ إنّ دعوى النبوة كذباً وبهتاناً تتنافى مع الإتيان بالأمر الخارق ، فالعقل يأبى صدور ذلك عن الله عز وجل ، وهو خلاف الحكمة ، وخلاف الغرض الإلهي وهو هداية الناس ، فلهد علل ذلك بعضهم ، فقال : ((لأنّ المعجز فيه خرق للنواميس الطبيعية ، فلا يمكن أن يقع من أحد إلا بعناية من الله تعالى ، وإقدار منه ، فلو كان مدعي النبوة كاذباً في دعواه ، كان إقداره على المعجز من قبل الله تعالى إغراء بالجهل وإشادة بالباطل ، وذلك محال على الحكيم تعالى)) ، [الخوئي ، أبو القاسم ، (1395 - 1975 م) ، 35] .

أما إذا كانت هناك مطابقة فلا يستقيم الأمر بهذا ولا يمكن إطلاق مصطلح الاستدراج عليه أيضاً ، إذ إنّ عدم الإيمان من الأمور التي يمكن إخفاءها ، بل يمكن التظاهر بخلافه ، وحينئذ يصبح الأمر الخارق للعادة على يد هذا



المتظاهر بالإيمان على العكس تماما، ويكون استدراجا للغير ووقوعه في الضلالة ، لا استدراجا للمتظاهر نفسه ، وهذا لا يمكن قبوله بعد أن كان هدف الاستدراج غير ذلك .

3- وأما الفيروز آبادي (ت: 817هـ) فقال : ((وأما الفرق بين المعجزة والكرامة فهو أنّ المعجزة مختصة بالنبى دائما [وي] وقت إظهارها مردد بين الجواز والوجوب، ويُعْرَن بالتحدي، وتحصل بالأدعاء، ولا تكون ثمرة المعاملات المرصية، ولا يمكن تحصيلها بالكسب والجهد، ويجوز أن يحيل النبى المعجزة إلى نائبه، لينقلها من مكان إلى مكان كما في شمعون الصفا الذى كان نائباً عن عيسى فى إحياء الموتى، وأرسله إلى الروم، فأحيا الموتى هناك. وأيضاً يكون أثر المعجزة باقيا بحسب إرادة النبى وأما الكرامة فموقوفة على الولي، ويكون كتمانها واجباً عليه، وإن أراد إظهارها وإشاعتها زالت وبطلت. وربما تكون موقوفة على الدعاء والتضرع. وفى بعض الأوقات يعجز عن إظهارها))، [الخوئي، أبو القاسم، (1395 - 1975 م)، 35].

4- وابن حجر العسقلاني (ت: 852هـ) جعل الفارق هو التحدي فقال ((وأما المعجزة فتمتاز عن الكرامة بالتحدي))، [ابن حجر العسقلاني، 10 / 188]

فما ذكره الفيروز آبادي فهو أيضا كسابقه إذ ذكر أموراً كما تشتمل عليها كل من المعجزة والكرامة، وفي الوقت نفسه لم يذكر ما يميزهما ، بل ربما جعل المعجزة تشمل غير النبي ؛ حين جَوَزَ إنابة الولي عن النبي في إتيانه بالمعجزة .

وهذا بالحقيقة مرجعه الى الخارقية التي يقوم بها الولي ، فهي أيضا معجزة من هذه الجهة ، إلا انها في الحقيقة كرامة وفق المصطلح ؛ لأنه لم يدع النبوة ، وإنما هي إتباع وتصديق للنبي .

وأما بعض المعاصرين فقد تنبّه لهذا الفارق - بين المعجزة والكرامة - ، ففرّق بينهما بدعوى النبوة، أو عدمها ، وهذا هو جوهر الفرق- كما تقدم - ، وربما أضاف بعضهم فرقا آخرأ ، كالعجز والتحدي وغيره ، إلا أن ذلك يُعدّ زيادة في الإيضاح كما تقدم ، فلماذا قالوا : ((إنّ المعجزة هي خرق العادة الذي يقترن بدعوى النبوة ، ويأتي بها النبي لإثبات نبوته ، وأما الكرامة فلا تكون مقترنة بدعوى النبوة . وأيضاً المعجزة عمل يعجز عنه غير النبي ، وأما الكرامة فلها مراتب ربما يصدر بعضها من غير النبي بل من غير الإمام المعصوم أيضاً)) [التبريزي ، جواد ، (1422)، 201].

وأيضاً قالوا ((ثمة فرق شاسع بين المعجزة والكرامة، لأن الكرامة لا يدعى صاحبها النبوة، بل لا يتحدى بها الناس، وإنما تظهر على يده لصدقه في اتباع النبي))، [عتر ، نور الدين ، (1414هـ - 1993م)، 191-192]. في حين خلت بعض كلمات المعاصرين من هذا الفارق الجوهرى ، واكتفى في مقام التفرقة بذكر التحدي ، أو قرنه بعدم المعارضة ، فلماذا قالوا في أنّ المعجزة ((يشترط فيها التحدي ، كأن يقول النبي لمن بعث إليهم : ان لم تقبلوا قولي فافعلوا مثل هذا ، اما الثانية ، وهي الكرامة فلا يشترط فيها التحدي))، [مغنية، محمد جواد ، 88]. وكذلك قالوا: ((إنّ المعجزة أمر خارق للعادة مع عدم المعارضة مقرونة بالتحدي، وأن الكرامة أمر خارق للعادة مع المعارضة وعدم التحدي، لأن الولي إذا ادعى خرق العادة مع التحدي كفر، وقد يظهر على يده أمر خارق للعادة من غير دعواه))، [ملا حويش، عبد القادر العاني، (1382 ق)، 2 / 21].

ويتلخص مما تقدم أنّ الفرق بين المعجزة والكرامة بالمعنى الاصطلاحي هو باقتران الأمر الخارق للعادة بالنبوة ، أو عدم اقترانها، فعلى الأول تسمى بحسب الاصطلاح معجزةً ، وعلى الثاني يطلق عليها اصطلاحاً اسم الكرامة .

الرابع: أمثلة من الكرامات

اختلفت كلمات العلماء في اطلاق مصطلح الكرامة ، فمنهم من جعلها مختصة بالأولياء ومنهم من جعلها لمطلق حجج الله تعالى من الأنبياء والأولياء ، إلا إنّ البحث قد اختار القول الثاني ثم ميّز بين ما يقع على يد الأنبياء من معجزات وبين ما يقع منهم من كرامات، فتارة يقع الأمر الخارق للعادة منهم مقترنا بدعوى النبوة فهي معجزة بحسب الاصطلاح ، فيأتي به في مقام اثبات صدق نبوته ، وأخرى يقع منهم الأمر الخارق وليس مقترنا بدعوى النبوة ، وإنما يراد به غرضاً آخر، فهو ليس في مقام إثبات صدق النبوة فهو- الأمر الخارق للعادة - حينئذٍ يعدّ من الكرامات ، أما ما يصدر عن الأولياء من الأمور الخارقة فهو موضع اتفاق بين العلماء في صدق تسميتها بالكرامات .

ويمكن التمثيل لكلا النوعين من الكرامة ، أي الكرامات التي صدرت عن الأنبياء عليهم السلام، والكرامات التي صدرت عن الأولياء ، وذلك بما يلي :



1- كرامات الأنبياء (عليهم السلام) :

ذكر العلماء جملة من الأمور الخارقة عن العادة التي صدرت عن الأنبياء عليهم السلام وليس البحث في صدد بيانها وإحصائها وإنما للإستشهاد بها على أنها معودة من الكرامات من جهة أنها لم تكن قد صدرت عنهم لإثبات صدق نبوتهم ، ورعاية للإختصار يمكن التمثيل لذلك بما وقع عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من كرامات ، سواء أكانت قبل نبوته أم كانت بعد نبوته- لكن ليس في مقام إثبات صدق نبوته - إذ قد تسالم جميع المسلمين على وقوع الأمور الخارقة عنه ، من قبيل الإخبار عن المغيبات كالإسراء والمعراج وغيرها وكذلك وقوعها في المياه ، والأطعمة والأشربة ، وإبراء المرضى ، وإحياء الموتى ، وتسليم الشجر والحجر عليه ، وكلام البهائم ، وفي الاستسقاء وتظليل السحاب عليه ، وغيرها من الخوارق ويمكن بيان بعضها بما يلي:

أ: فقد ورد عن ((جابر بن عبد الله والبراء بن عازب وسلمة بن الأكوع والمسور بن مخرمة : فلما نزل النبي (صلى الله عليه وآله) بالحديبية في ألف وخمسمائة وذلك في حر شديد قالوا : يا رسول الله ما بها من ماء ، والوادي يابس ، وقريش في بلدح في ماء كثير ، فدعا بدلو من ماء فتوضأ من الدلو ومضمض فاه ، ثم مح فيه ، وأمر أن يصب في البئر ، فجاشت فسقينا واستقينا. وفي رواية ، فنزع سهما من كنانته فألقاه في البئر ففارت بالماء حتى جعلوا يغترفون بأيديهم منها وهم جلوس على شفتها))، [ابن شهر آشوب ، مناقب آل أبي طالب ، 1 / 91 ؛ المجلسي ، محمد باقر ، (1403 هـ - 1983 م) ، 18 / 37 ، (الباب الأول وفيه ما ظهر من إعجازه صلى الله عليه وآله في بركة أعضائه الشريفة وتكثير الطعام والشراب ، [23] .

ب: وكذلك مرور النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بام معبد ومعه أصحابه وكان قد نفذ زادهم فطلبوا منها لبناً أو لحماً يشترونه منها فلم يجدوا شيئاً عندها ، إلا أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نظر إلى شاة في كسر الخيمة خلفها الجهد عن الغنم، فسألها هل بها من لبن ؟ فقالت: هي أجهد من ذلك، فقال: أتأذنين لي أن أحلبها! فقالت بأبي أنت وأمي إن رأيت بها حلباً فدعا بالشاة فاعتقلها ومسح ضرعها فدرت واجترت ودعا بإناء يشبع الرهط فحلب حتى ملأه وسقى القوم حتى رويوا ثم شرب آخرهم ثم حلب فيه مرة أخرى عللاً بعد نهل ثم غادره عندها وذهبوا فجاء أبو معبد فلما رأى اللبن قال ما هذا يا أم معبد ؟ أنى لك هذا والشاة عازب حيال ولا حلوبة بالبيت فقالت لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك فقال صفيه فوصفته له، وذلك في طريق هجرته - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة ، [ظ : النيسابوري، أبي عبد الله الحاكم ، 10 / 58 ، [4243]؛ ابن حمزة الطوسي، (1412)، 85؛ المجلسي ، محمد باقر ، (1403 هـ - 1983 م) ، 19 / 98 / 37 ، (الباب 6 : الهجرة ومبديها ، ومبيت علي عليه السلام على فراش النبي].

ت : أما في تكليمه للجمادات فقد روي أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان في مسجده جذع ، كان إذا خطب فتعب أسند إليه ظهره فلما اتخذ له منبر حن الجذع ، فدعاه ، فأقبل يخذ الأرض ، والناس حوله ينظرون إليه ، فالتزمه وكلمه فسكن [ثم] قال له : عد إلى مكانك . وهم يسمعون . فمر حتى صار في مكانه ، فازداد المؤمنون يقينا وفي دينهم بصيرة و [كان] هنالك المنافقون وقد نقلوه ولكن الهوى يميم القلوب)) ، [قطب الدين الراوندي، (ذي الحجة 1409) ، 1 / 26] .

ث: ومن الأحاديث الصحيحة في تسليم الشجر والحجر عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) ما رواه الحاكم النيسابوري(ت: 405هـ) عن ((أبي محمد أحمد بن عبد الله المزكي ثنا يوسف بن موسى المروري ثنا عباد بن يعقوب ثنا الوليد بن أبي ثور عن السدي عن عباد بن عبد الله عن علي رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة فخرج في بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل الا قال السلام عليك يا رسول الله)) ، [النيسابوري، أبي عبد الله الحاكم ، 2 / 620] .

وكذا ما ورد عن ((حبة ، عن علي عليه السلام ، قال : " كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله في شعاب مكة ، وأسمع تسليم الشجر والحجارة عليه (")) ، [ابن حمزة الطوسي، (1412)، 66 ، (في بيان ظهور آياته في كلام الجمادات وغيرها) ، [1] .

ج: ما ورد عن ((عن ابن بابويه ، حدثنا الحسن بن حمزه العلوي حدثنا محمد بن داود ، حدثنا عبد الله بن أحمد بن محمد الكوفي ، حدثنا أبو سعيد سهل بن صالح العباسي ، حدثنا إبراهيم بن عبد الأعلى ، حدثنا موسى بن جعفر ، عن آياته عليه السلام قال: إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله كانوا جلوساً يتذكرون وفيهم أمير المؤمنين صلوات الله عليه إذ أتاهم يهودي ، فقال : يا أمة محمد ما تركتم للأنبياء درجة إلا نحلتموها لنبيكم ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : إن كنتم تزعمون أن موسى عليه السلام كلمه ربه على طور سيناء فإن الله كلم محمداً



في السماء السابعة ، وإن زعمت النصارى أن عيسى أبراً الأكمه وأحبي الموتى فإن محمدا صلى الله عليه وآله سألته قريش أن يحيي ميتا فدعاني وبعثني معهم إلى المقابر ، فدعوت الله تعالى عز وجل فقاموا من قبورهم ، ينفضون التراب عن رؤوسهم بإذن الله عز وجل ، وإن أبا قتادة بن ربعي الأنصاري شهد وقعة أحد فأصابته طعنة في عينه ، فبدت حدقته فأخذها بيده ، ثم أتى بها رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : امرأتى الآن تبغضني ، فأخذها رسول الله صلى الله عليه وآله من يده ثم وضعها مكانها ، فلم يك يعرف إلا بفضل حسننها وضونها على العين الأخرى ، ولقد بارز عبد الله بن عتيك فابين يده فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ليلا ومعه اليد المقطوعة ، فمسح عليها فاستوت يده)) ، [الراوندي، قطب الدين ، (1418 هـ . ق ، 1376 هـ) ، 308، (في الدلائل على نبوة محمد صلى الله عليه وآله من المعجزات و غيرها) ، [413] ؛ المجلسي ، محمد باقر ، (1403 هـ - 1983 م) ، 249 / 17 ، (باب : جوامع معجزاته صلى الله عليه وآله ونوادرها ، [3]] . وغيرها من الأحاديث الكثيرة ، وليس البحث في صدد الوقوف على صحة هذا الحديث أو ذلك ، فإن الأخبار متظافرة في ثبوت مثل هذه الأمور وصدورها عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

لا شك أن هذه الأمور الصادرة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تُعد من الأمور الخارقة عن العادة والطبيعة ولم يألف الناس مثل هذه الأمور ، ولما كانت قد صدرت عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في ظروف ليست في مقام إثبات نبوته للأخريين فقد خرجت عن كونها من المعجزات ، لما عرفت من أن مصطلح المعجزة لا بد أن تكون مقترنة بدعوى النبوة ، بل هي تندرج تحت مصطلح الكرامة لأن فيها خرق للعادة وهي قد شابهت المعجزة من هذه الجهة ، إلا أنها قد اختلفت عن المعجزة بحيثية عدم الدعوى للنبوة - كما تقدم- فصح أن يقال عن هذه الأمور الخارقة أنها كرامات وإن كانت قد صدرت عن الأنبياء .

2- كرامات الأولياء

الكرامة التي يريد البحث التمثيل لها ليست الكرامة التي يهبها ويرزقها الله تعالى لأوليائه ويكرمهم بها ، كما في زكريا عليه السلام فقد وهب له الذرية من بعد الضعف والشيبه ، وكذلك مريم بنت عمران عليها السلام ، حينما يدخل عليها في محرابها يجدون الفاكهة في غير أوانها ، فهذه وغيرها تعد من كرامات الأولياء عليها السلام ، وإنما المراد بالكرامة ذلك الفعل الذي يقوم به الولي والذي يعد خرقاً للعادة والطبيعة كما ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام ، وهي كثيرة جداً في الإخبار عن المغيبات ، وتكليم الحيوانات و الجمادات ، وفي الأطقمة والأشربة وغيرها ، ويمكن التمثيل لبعضها - رعاية للاختصار - بما يلي :

أ : ما ذكره صاحب عيون المعجزات - وهو مختصر لكتاب بصائر الدرجات- في شأن أمير المؤمنين عليه السلام في كلام الثعبان فقال : ((وهو حديث مشهور بالاسناد ، يرفعه إلى الصادق - عليه السلام - ، عن أبيه ، عن أبيائه - عليهم السلام - قال : كان أمير المؤمنين - عليه السلام - يخطب في يوم الجمعة على منبر الكوفة ، إذ سمع وحية عدو الرجال يتواقعون بعضهم على بعض ، قال لهم : مالكم ؟ قالوا : يا أمير المؤمنين ثعبان عظيم ، قد دخل ونفزع منه ، ونريد أن نقتله . فقال - عليه السلام - : لا يقربنه أحد [منكم] فطرقوا إليه ، فإنه رسول جاء في حاجة ، فطرقوا له ، فما زال يتخلل الصفوف حتى صعد المنبر ، فوضع فمه في اذن أمير المؤمنين - عليه السلام - ، فنق في اذنه نقيقاً ، وتناول أمير المؤمنين يحرك رأسه ، ثم نق أمير المؤمنين - عليه السلام - مثل نقيقه ، فنزل عن المنبر فانساب بين الجماعة ، فالتفتوا فلم يروه ، فقالوا : يا أمير المؤمنين وما هذا الثعبان ؟ فقال : هذا الدرجان بن مالك خليفتي على المسلمين من الجن ، وذلك انهم اختلفوا في أشياء فأنفدوه إلي فجاء سألتني عنها ، فأخبرته بجواب مسأله فرجع)) ، [حسين بن عبد الوهاب ، (1369) ، 7] .

ب : مارواه قطب الدين الراوندي (ت: 573 هـ) فقال : ((ما روي عن عبد الرحمن بن كثير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : نزل أبو جعفر الباقر عليه السلام بواد ، فضرب خبائه فيه ، ثم خرج يمشي حتى انتهى إلى نخلة يابسة ، فحمد الله ثم تكلم بكلام لم أسمع بمثله ، ثم قال : آيتها النخلة أطعمينا مما جعل الله فيك . فتساقط منها رطب أحمر وأصفر ، فأكل ومعه أبو أمية الأنصاري فقال : يا أبا أمية هذه الآية فينا كالأية في مريم إذ هزت إليها النخلة فتساقط عليها رطباً جنياً)) ، [الراوندي، قطب الدين، (ذي الحجة 1409) ، 505 / 2 ، (فصل في أعلام الإمام محمد بن علي بن الحسين الباقر عليهم السلام) ، [2]] .

ج: وكذلك فيما ورد عن ((يحيى بن زكريا الخزاعي قال : حدثني أبو هاشم الجعفري قال : خرجت مع أبي الحسن عليه السلام إلى ظاهر " سر من رأى " نتلقى بعض القادمين ، فأبطأوا ، فطرح لأبي الحسن عليه السلام غاشية السرج ، فجلس عليها ، [ونزلت عن دابتي وجلست بين يديه ، وهو يحدثني] . فشكوت إليه قصور يدي



وضيق حالي . فأهوى بيده إلى رمل فناولني منه أكفا وقال : اتسع بها يا أبا هاشم ، واكتم ما رأيت . فخبأته معي ورجعنا ، فأبصرته ، فإذا هو يتقد كالنيران ذهباً أحمر . فدعوت صانعا إلى منزلي ، وقلت له : اسبك لي هذا . فسبكه وقال: ما رأيت ذهباً أجود منه وهو كهينة الرمل ، فمن أين لك هذا ؟ قلت : هذا شيء عندنا قديماً)) ، [الرواندي، قطب الدين ،، (ذي الحجة 1409) ، ، 2 / 674 ، (فصل في أعلام الامام علي بن محمد النقي عليه السلام) ، [3] ؛ المجلسي ، محمد باقر ، (1403 هـ - 1983 م) ، 50 / 138 ، (باب معجزاته ، وبعض مكارم أخلاقه ، ومعالي أموره صلوات الله عليه) ، [22] .]

هذا كله ما يخص كرامات المعصومين عليهم السلام ، أما ما يخص غير المعصومين من كرامات الأولياء والصالحين ، والعلماء الربانيين ، والعرفاء ، وأهل السلوك فمن ذلك كثير ، وكتب العلماء والأخلاق زاخرة بذلك ، ولا يريد البحث الخوض فيها بعد ما ثبتت لغير الأنبياء عليهم السلام ، ومما تقدم يتضح أن الكرامة التي تصدر عن الأولياء فيها خرق للعادة والطبيعة وليست مقترنة بدعوى النبوة وإثباتها رغم أن بعضها قد صدر عن النبي ، أما ما صدر عن غير النبي فهي من باب أولى أن لا يكون فيها دعوى للنبوة .

المبحث الثالث

مصاديق الخارقة غير الحقيقية

هناك جملة من المصاديق التي ربما قد يتوهم اندراجها تحت مفهوم ووصف الخارقة من قبيل السحر والشعوذة والكهانة والتنجيم وغيرها ، ولعل السحر هو أقربها من جهة التوهم فلذا صار البحث عن هذا المصداق المتوهم بشكل تفصيلي وبيان ذلك فيما يلي:

أولاً: السحرفي المنظور القرآني

السحر من المصطلحات التي سماه القرآن الكريم بذلك ، فقد ذكره في أكثر من موضع منه ، إذ قال الله عز وجل : (وَإِتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) ، [البقرة / 102] ، وفي قصة موسى (عليه السلام) ، قال تعالى (قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴿١٠١﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴿١٠٢﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿١٠٣﴾ وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلْفُفًا مِمَّا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿١٠٤﴾ فَأَلْقَى السِّحْرَ سَجْدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴿١٠٥﴾ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آدَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَأَلْصَقَنكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ آيُنَا أُشْدَّ عَذَابًا وَأَبْقَى) ، [طه / 66- 71] ، وغيرها من الآيات المباركة .

يظهر من هذه الآيات أن السحر ليس مصدره من الله تعالى وإنما هو من تعليم الشيطان ، وأنه من الأمور المذمومة عند الشارع لما فيها من المفسدة الكبيرة والآثار الجسيمة على الإنسان والمجتمع وقد قطع الله تعالى بعدم فلاح الساحر حيث أتى .

ثانياً : التعريف اللغوي للسحر

السحر بكسر السين عند أهل اللغة هو : الخديعة ، وصرف الشيء على غير حقيقته ، وكذلك ما دق الشيء ولطف ، وما شابه هذه المعاني .

فقد قال الأزهرى (ت: 370هـ) : (إِنَّ السِّحْرَ: عمل يُقَرَّبُ فِيهِ إِلَى الشَّيْطَانِ وَبِمَعُونَةِ مَنْهُ، كُلُّ ذَلِكَ الْأَمْرِ كَيْفِيَّتُهُ السِّحْرُ، وَمَنْ السِّحْرُ الْأَخْذَةُ الَّتِي تَأْخُذُ الْعَيْنَ حَتَّى تَنْظُرَ أَنْ الْأَمْرَ كَمَا تَرَى وَلَيْسَ الْأَصْلُ عَلَى مَا تَرَى)) ، [الأزهرى: أبو منصور محمد بن أحمد بن الهروي ، (2001م) ، 4 / 169] .

وراء الشيء على غير حقيقته يعطي معنى الخديعة ، فكأنه مخدوع ، فلهذا فسّر قوله تعالى : ((إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا)) ، [الإسراء / 57] ، أي مخدوعاً؛ لأن السحر حيلة وخديعة وقالوا في قوله: (فَأَنَّى تُسْحَرُونَ) ، [المؤمنون / 89] ، أي من أين تخدعون؟ و (إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ) ، [الشعراء / 153] ، أي من المعالين)) ،



[الدينوري ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، غريب القرآن ، 256] ، فمعنى علله : خدعه ، فكأنما هو ((مِمَّنْ سَحَرَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ)) ، [الأزهري ، أبو منصور ، محمد بن أحمد بن الهروي ، (2001م) ، 4 / 170] ، ومنه ((قولهم: فلانٌ يَسْحَرُ بكلامه معناه: يخدع بكلامه)) ، [الأنباري ، أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار ، (1412 هـ - 1992) ، 1 / 206]

ولهذا سُمِّيَ السَّحْرُ سِحْرًا؛ ((لأنَّهُ صَرَفَ الشَّيْءَ عَن جِهَتِهِ، فَكَانَ السَّاحِرَ لَمَّا أَرَى الْبَاطِلَ فِي صُورَةِ الْحَقِّ، وَخَيَّلَ الشَّيْءَ عَلَى غَيْرِ حَقِيقَتِهِ، فَقَدْ سَحَرَ الشَّيْءَ عَن وَجْهِهِ أَيْ صَرَفَهُ)) ، [الأزهري ، أبو منصور ، محمد بن أحمد بن الهروي ، (2001م) ، 4 / 171-170]

وقال أبو نصر الجوهري (ت: 393هـ) إِنَّ السَّحْرَ هُوَ ((كُلُّ مَا لَطَفَ مَأْخُذُهُ وَدَقَّ)) ، [الجوهري ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي ، (1407 هـ - 1987 م) ، 2 / 679] والراغب الأصفهاني (ت: 502هـ) يُرْجَعُ أَطْلَاقَ لَفْظِ السَّحْرِ إِلَى مَعَانٍ ثَلَاثَةٍ، [الراغب الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد ، (1404) ، 400-401]

المعنى الأول: الخداع وتخييلات لا حقيقة لها، نحو ما يفعله المشعبد بصرف الأبصار عما يفعله لخدعة يد، وما يفعله النمام بقول مزخرف عائق للأسماع، وعلى ذلك قوله تعالى: ((سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْتَبَهُوهُمْ)) ، [الأعراف/ 116] ، وقال: ((يُخَيِّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ)) ، [طه/ 66] ، وبهذا النظر سموا موسى عليه السلام سَاحِرًا فقالوا: ((يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبِّيكَ)) [الزخرف/ 49] .

والمعنى الثاني: استجلاب معاونة الشيطان بضرب من التقرب إليه، كقوله تعالى: ((هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ)) ، [الشعراء/ 221-222] ، وعلى ذلك قوله تعالى: ((وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ)) ، [البقرة/ 102]

والمعنى الثالث: ما يذهب إليه الأعتام ، وهو اسم لفعل يزعمون أنه من قوته يغيّر الصور والطبائع، فيجعل الإنسان حمارا، ولا حقيقة لذلك عند المحصلين. وقد تصوّر من السحر تارة حسنه، فقيل: (إن من البيان لسحرا) ، وتارة دقة فعله حتى قالت الأطباء: الطبيعية ساحرة، وسموا الغذاء سِحْرًا من حيث إنه يدقّ ويلطف تأثيره، قال تعالى: ((بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ)) ، [الحجر/ 15] .

إنّ المتتبع لمعنى السحر في الآيات الشريفة ومعناه في المعاجم اللغوية ينتهي الى جملة من الدلالات التي تكون نافعة في المقام ، والتي لها مدخلية في البحث ، ويمكن بيان بعضها بما يلي :

- 1- أن منشأ السحر هو من الشيطان الرجيم .
- 2- ممارسة السحر من قبل الناس إنما هو بتعليم الشيطان لهم ، أي أنه من الأمور التي يمكن أن يتعلّمها الآخرون .
- 3- من يقوم بالسحر ويعلمه للآخرين موصوف بالكفر .
- 4- الساحر لا يمكن أن يفلح أبداً .
- 5- السحر ليس من الأشياء الحقيقية وإنما هو توهم وخداع .
- 6- قد يستعمل لفظ السحر في المدح والذم .

وغيرها من الدلالات التي يمكن الاستفادة منها ، إلا إنّ البحث ليس في صدد بيان السحر وأحكامه وآثاره ، وإنما الغاية من ذلك الكشف عن حقيقة السحر كونه من الأمور التي ربما يكون فيها صفة الخارقة للعادة فيشترك حينئذ مع المعجزة والكرامة في ذلك ، مضافاً الى أنه يمهد الى معرفة المعنى الاصطلاحي للسحر ، والتفرقة بينه وبين المعجزة والكرامة .

ثالثاً : المعنى الاصطلاحي للسحر

إن حقيقة ومعنى السحر عند أهل الاصطلاح لا يفترق عن حقيقته ومعناه عند أهل اللغة وإن اختلفت الصياغة وكلمات العلماء فيه ، وتوضيح ذلك يكون بما يلي :

- 1- فالسحر، عند النحاس(ت: 338هـ) يشابه ما عند أهل اللغة ، حين قال : هو((كُلُّ مَمَوِّهٍ لَا حَقِيقَةَ لَهُ وَلَا صِحَّةَ)) ، [النحاس ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل ، (1409هـ - 1988م) ، 3 / 46] .
- 2- وعرف أبو بكر الجصاص (ت: 370هـ) السحر بأنه ((كل أمر خفي سببه وتخيّل على غير حقيقته ، ويجري مجرى التّمويه والخداع ، فهو اسم لكل أمر هو باطل لا حقيقة له ولا ثبات)) ، [الجصاص ، أبو بكر أحمد بن علي الرازي ، (1405) ، 1 / 51 ، (بتصرف) .]



- 3- وهكذا السيد المرتضى (ت: 436هـ) قال: إنّه (تخييل ما ليس له حقيقة كالحقيقة يتعذر على من لا يعلم وجه الجملة فيه))، [الشريف المرتضى، (1405)، 2 / 272].
- 4- والشيخ الطوسي (ت: 460هـ) أيضاً وصف السحر بأنه تخييل وشعبدة ولا حقيقة له، فقال ((وقال قوم لا حقيقة له وإنما هو تخيل وشعبدة، وهو الذي يقوى في نفسي))، [الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن، (1387)، 7 / 260؛ الحلبي، أبو جعفر محمد بن منصور بن أحمد بن إدريس، (1410 هـ. ق)، 3 / 533].
- 5- بيد أنّ العلامة الحلبي (ت: 726هـ) قال في السحر أنه: ((عقد ورقى وكلام يتكلم به، أو يعمل شيئاً يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله من غير مباشرة [له]، وقد يحصل به القتل، والمرض، والتفريق بين الرجل والمرأة، وبغض أحدهما لصاحبه، ومحبة أحد الشخصين للآخر))، [الحلبي، العلامة جمال الدين أبي منصور الحسن بن يوسف بن المطهر (1420)، 5 / 396].
- 6- والتفتازاني (ت: 792هـ) وصفه بالخرافية، إذ قال: إنه ((إظهار أمر خارق للعادة من نفس شريرة خبيثة بمباشرة أعمال مخصوصة يجري فيها التعلم والتلمذ))، [التفتازاني (1401 - 1981م)، 2 / 206].
- 7- ووصف السحر بالخرافية أيضاً أبو عبد الله محمد ابن عرفة (ت: 803هـ) حين قال: ((أمر خارق للعادة مسبب عن سبب معتاد كونه منه))، [ابن عرفة، أبو عبد الله محمد بن محمد الوردغمي التونسي المالكي (1435هـ - 2014م)، 10 / 181].
- 8- وصرح ابن حجر (ت: 852هـ) بأنّ الأمر الخرق للعادة لا فرق فيه بين الفاسق والصالح، وقد غلط من فرّق بينهما، فقال: ((ان الذي استقر عند العامة أن خرق العادة يدل على أن من وقع له ذلك من أولياء الله تعالى وهو غلط ممن يقوله فان الخارق قد يظهر على يد المبطل من ساحر وكاهن وراهب فيحتاج من يستدل بذلك على ولاية أولياء الله تعالى إلى فارق وأولى ما ذكره أن يختبر حال من وقع له ذلك فإن كان متمسكا بالأوامر الشرعية والنواهي كان ذلك علامة ولايته ومن لا فلا))، [ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين، (1379)، 7 / 294].
- 9- وهكذا العيني (ت: 855هـ) قال: ((السحر فهو أمر خارق للعادة صادر عن نفس شريرة لا يتعذر معارضته))، [العيني، بدر الدين، 21 / 277].
- 10- إلا إنّ الشهيد الثاني (ت: 965هـ) قيّد السحر وخصّه بالكلام والكتابة، فقال: ((وهو كلام، أو كتابة يحدث بسببه ضرر على من عمل له في بدنه، أو عقله، ومنه عقد الرجل عن حليلته، وإلقاء البغضاء بينهما، واستخدام الجن والملائكة، واستئزال الشياطين في كشف الغائبات، وعلاج المصاب، وتلبسهم ببدن صبي، أو امرأة في كشف أمر على لسانه ونحو ذلك، والحق أن له أثراً حقيقياً وهو أمر وجداني، لا مجرد التخييل كما زعم كثير))، [الشهيد الثاني، زين الدين الجبعي العاملي، (1386 - 1398)، 3 / 214].
- 11- والمحقق النزقي (ت: 1244هـ) جعل السحر اعم من الكلام والكتابة وذلك بحسب ما ظهر له العرف، والتتبع في موارد الاستعمال فوصفه بأنه: ((عمل يوجب حدوث أمر منوط بسبب خفي غير متداول عادة، بأن يكون بأعمال مناسبة للمطلوب، كتماثيل أو نقوش أو عقد أو نفث أو كتب منقسمة إلى رقية، [الرقية بالضم: العوذة (الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، أبو طاهر، 4 / 338)]، وعزيمة، [عزيمة: العزائم - الرقى (الطريحي، فخر الدين، 6 / 115)]، أو دخنة، [دخنة: ذريرة تدخن بها البيوت (الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، أبو طاهر، 4 / 223)]، وفي وقت مختار))، [النزقي، المحقق، أحمد بن محمد مهدي، (1415)، 14 / 114 - 115].
- 10- السيد الخوئي (ت: 1413هـ) قال: ((أن السحر عمل خفي يحصل بالأسباب الخفية، ويصور الشيء على خلاف صورته الواقعية، ويصرفه عن وجهه بالخدعة والتمويه، ويقلبه من جنسه في الظاهر لا في الحقيقة))، [الخوئي، أبو القاسم الموسوي، 1 / 448]. ولكن مع ذلك فهو يصفه بالأمر الخارق للعادة سوى أنه يعتمد على مقدمات مضبوطة معينة، [ظ: الخوئي، أبو القاسم الموسوي، (جمادي الأولى 1416)، 6 / 460].
- 10 - أما ابن عابدين (ت: 1252هـ) : فصنفه من العلوم حين قال : ((علم يستفاد به حصول ملكة نفسانية يقتدر بها على أفعال غريبة))، [ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز الدمشقي الحنفي، (1412هـ - 1992م)، 1 / 44].
- 11 - والزرقاني (ت: 1367هـ) قد صنّفه من جملة العلوم الخبيثة، فقال : ((أما السحر وما أشبهه فإنها فنون خبيثة ذات قواعد وأوضاع يعرفها كل من ألم بها ويصل إلى وسائلها وغاياتها كل من عالجها من بابها))، [



الزرقاني ، محمد عبدالعظيم، (1996)، [77 / 1].
12 – والشيخ محمد الحسين المظفر (ت: 1375 هـ) أيضاً ، قال : إنّه ((فنّ يقوى عليه كلّ أحد إذا تعلّمه إذ هو تخييل وتضليل ، وليس له واقع وحقيقة))، [المظفر ، محمد الحسين ، (1397 هـ - 1978 م) ، 1 / 250].
وغيرها من التعريفات التي لا حاجة لذكرها جميعاً ؛ إذ إنها لا تخلو من مضمون ما ذكر من التعريفات .

رابعاً المناقشة في التعريفات

الناظر للتعريفات المتقدمة للسحر يجدها قد ابتنت في صياغتها على أمرين هما :

الأول : حقيقة السّحر ، والثاني : توهم الخارقية ، ويمكن توضيح كلا الأمرين بما يأتي :

الأول : حقيقة السّحر

اختلفت كلمات العلماء في حقيقة وواقعية السّحر الأمر الذي سبب في ورود هذه التعريفات بصياغات مختلفة ، وفي الحقيقة أنّ في المسألة اتجاهين لا ثالث لهما وهما :

الاتجاه الأول : بعض العلماء يتجه قوله باتجاه أنّ للسحر حقيقة وواقع .

فعلى من يرى له حقيقة وواقع لا بد أنّ يكون تعريفه منسجماً مع هذه الحقيقة، ومن هنا قالوا إنه أمر خارق للعادة حتى بعضهم صفها مصاف المعجزة والكرامة من هذه الجهة ، أو أنه كلام ، أو كتابة يحدث بسببه ضرر على من عمل له ، وغير أو عمل يوجب حدوث أمر منوط بسبب خفي غير متداول عادة ، أو هو من العلوم الخبيثة التي يمكن أن تلحق ضرراً بالآخرين ، وغير ذلك من التعابير التي لها نفس المضمون ، ثم ذكروا مصاديق لهذا الضرر من التفرقة بين المتحابين ، وإلقاء العداوة والبغضاء بين الناس ، والتأثيرات النفسية ، وما إلى ذلك من الأمور الضارة .

الاتجاه الثاني : في حين يتجه بعضهم الآخر خلاف ذلك ، فيذهب إلى أنّ السّحر أمر تخيلي ووهمي وليس له حقيقة ولا واقعية، وماهي إلا تخيلات وشعبذة وخداع .

فهؤلاء أيضاً لا بد أن يكون تعريفهم مبنياً على هذا الاتجاه والتصور فلماذا قد ورد على لسان بعض العلماء من أن السّحر هو كل أمر خفي سببه وتُخَيَّل على غير حقيقته ويجري مجرى التّمويه والخداع، أو أنه تخييل وشعبذة ولا حقيقة وراء ذلك ، أو يصور الشيء على خلاف صورته الواقعية ، أو يقلب جنسه بالظاهر لا بالحقيقة على نحو من الخديعة والتّمويه ، وغير ذلك من التعريفات التي لها نفس المعنى .

إلا إنّ جميع العلماء يتفقون على أنّ السّحر من الأمور القابلة للتّعلم ، حتى عدّها بعضهم من العلوم ، فهي من الفنون المكتسبة ، وكذلك يذهب أغلبهم إلى أنّ سبب تحقق السّحر أمر خفي .

ثم إن بعضهم لم يصرح بحقيقة السّحر في تعريفه ، إلا إنه في الوقت نفسه يتبنى أحد هذين الاتجاهين في ثنايا بحثه في هذا الأمر ، إذ إنّ هذه المسألة من المسائل التي يترتب عليها أحكاماً فقهية من الناحية العملية ، بمعنى : إن كان للسحر واقع وحقيقة ، وقد لحق بالآخرين ضرر جراء ذلك من قتل أو مرض ونحوه ، فهنا لا بد من تطبيق الأحكام الفقهية المناسبة بحق من قام بهذا الفعل، وإن كان – السّحر – أمر تخيلي ووهمي ، فحينئذٍ قد يختلف الحكم في ذلك ، وهذا بالحقيقة خارج عن محل كلامنا .

الثاني : توهم الخارقية

تقدم الكلام في معنى الخارقية وحقيقة الأمر الخارق للعادة والطبيعة ، وأن تحقّقه يستند إلى أمور أربعة : من خفاء الأسباب والعلل ، واختصار واختزال مراحلها ، وأنه خلاف العادة عند الجميع ، وعدم قدرتهم عليه ، وأن تحقّق الأمر الخارق للعادة بهذا النحو إنما يكون تحت سقف قوانين الطبيعة من العلة والمعلول لا خارجاً عنها ، ولا خارجاً عن حكم العقل أيضاً ، غاية الأمر أنّ وقوع مثل هذا غير معهود ومعروف عند الآخرين تحقّقه بهذه الطريقة وبهذا النحو ، فلماذا كانوا غير قادرين على الاتيان بمثله ، وقد كانت المعجزة والكرامة المصادقين الحقيقيين لهذه الخارقية .

وفي مسألة السّحر أيضاً قد وصفه العلماء بأنّه أمر خارق للعادة ، ولعل بعضهم قد ساوى بينه وبين المعجزة والكرامة من هذه الجهة، وكما ظهر ذلك من ابن حجر (ت: 852 هـ) .

ويمكن أن يقال أنّه توهم ، إذ قد يُتوهم أنّه من الأمور الخارقة للعادة والطبيعة ، فيكون مصادقاً غير حقيقي ؛ لأن الخارقية في المعجزة والكرامة هي خرق للعادة والطبيعة ، وأسبابها وعللها غير معروفة ومعهودة عند جميع الناس، ولا يكون مقدوراً لديهم ، بينما في السّحر فالخرق - بحسب الفرض - لم يكن كلياً وإنما هو خرق جزئي ، بمعنى أن الخرق للعادة والطبيعة حصل وتحقق عند بعض الناس، لا جميعهم ، فلا يكون هذا الخرق معهوداً



ومعروفاً عند بعضهم لجهلهم بالأسباب والعلل ، بينما عند بعضهم الآخر وبخاصة العلماء لا يصدق عليه إنه خرق للعادة، وإنما هو مما اعتادوا عليه وعرفوا أسبابه ، بل هو مما يُعَلَّم ويدرس ، ولعلّ تعريف ابن عرفة(ت: 803هـ) للسحر بأنّ سببه معتاد فيه إشارة على أنّ السحر قابل للتعلم ، إذ كيف يصح أن يتحقق الخرق باختصار واختزال مجموعة من العلل الخفية ، وفي الوقت نفسه يتحقق بعلة وسبب معتاد ومعروف . والألوسي (ت: 1270هـ) قد ذكر أن السحر ليس من الخوارق بل هو ((أمر غريب يشبه الخارق- وليس به- إذ يجري فيه التعلم ويستعان في تحصيله بالتقرب إلى الشيطان بارتكاب القبائح))، [الألوسي ، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البيغدادي ، 1 / 337] .

ولعل منشأ التوهم في أنّ السحر من الأمور الخارقة للعادة ؛كونه في الأغلب مجهول السبب وعلته خفية ، وغير معهود وقوعه على هذا النحو عند الكثيرين ، فصار يشابه المعجزة والكرامة من هذه الجهة ، إلا إنه يمكن إبطال وصف الخارقة للسحر بما يلي :

1- إنّ مجهولية السبب في الخارقة بمعناها المتقدم إنما يشمل ويعمّ الجميع ، وفي السحر يخص بعضاً دون بعض ، فهو قد يخفى على كثيرين من عامة الناس ، إلاّ أنّه لا يخفى على غيرهم ، فضلاً عن السحرة ، والعلماء ، مضافاً إلى أنّه قد يكون سببه معتاداً في بعض الأحيان- كما تقدم - ، وبعد كونه من الفنون والصناعات، ((فالصناعة أيضاً علم تجري على النواميس الطبيعيّة ، يقوى عليها من تعلمها ، ويعرف طبائع الأشياء وتركيبتها))، [المظفر ، محمد الحسين ، (1397 هـ - 1978 م)، 1 / 250].

2- كذلك وقوع السحر بهذا النحو هو مألوف ومعهود ومعتاد عند الناس، والسحرة، والعلماء ، وإن كان غير معتاد عند بعضهم .

3- هذا مضافاً إلى أنّ وقوع السحر من بعض الناس، والسحرة والعلماء ، وتعليمه للآخرين هو فرع القدرة عليه ، فكيف يصدق عليه أنّه أمر خارق، إذ إنّ الأمر الخارق -بمعناه المتقدم - غير مقدورٍ عليه عند الجميع ، وكما في المعجزة والكرامة ، فيمكن أن يوصفاً بأنهما أمران خارقان للعادة والطبيعة حقيقة . وعليه فالأصح أن لا يعبر عن السحر بأنه أمر خارق للعادة ، وإنما يعبر : بأنه أمر غير مألوف، وغير معتاد عند كثيرين، أما عند السحرة والعلماء فهو أمر مألوف ومعتاد ومتعارف عندهم، وإنّ جهل سببه في بعض الأحيان .

خامساً: التعريف المختار للسحر

في ضوء ما تقدم يمكن أن يعرف السحر بأنه : حصول أمر غير معتاد عند كثيرين بالتخيّل والخداع بأسباب خفية عند من يجهلها ، مع القدرة على الإتيان به بالتعلم.

وتجدر الملاحظة أن بناء هذا التعريف بهذه الصياغة قد استند إلى الاتجاه الثاني - من مسألة تصور حقيقة السحر- وهو عدم واقعية السحر وأنّه محض تخيّل، وتوهم، وخداع ، ولا حقيقة وراءه ، وذلك للأسباب التالية :

1- إنّ القرآن الكريم قد أخبرنا بحقيقة السحر ووصفه بأنه تخيّل ، فقال الله تعالى على لسان موسى(عليه السلام) للسحرة (قَالَ بَلْ أَلْفُوا قَائِدًا حَبَالَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى) ، [طه / 66] ، ولهذا ورد في تفسير هذه الآية المباركة من أنّه ((إنما قال يخيل ، لأنها لم تكن تسعى حقيقة ، وإنما تحركت ، لأنه قيل إنه كان جعل داخلها زئبق ، فلما حميت بالشمس طلب الزئبق الصعود ، فتحرّكت العصي والحبال ، فظن موسى أنها تسعى))، [الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن ، 7 / 186].

2- ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام حين سألّه سائل، فقال ((أفيقدر الساحر أن يجعل الإنسان بسحره في صورة الكلب أو الحمار أو غير ذلك ؟ قال : " هو أعجز من ذلك ، وأضعف من أن يغير خلق الله ، إن من أبطل ما ركبته الله وصوره وغيره فهو شريك الله في خلقه ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً لو قدر الساحر على ما وصفت لدفع عن نفسه الهرم والآفة والأمراض ، ولنقى البياض عن رأسه ، والفقر عن ساحته..")، [الطبرسي: أبو علي فضل بن الحسن ، (1386 - 1966 م)، 2 / 82] ، وفي الخبر دلالة على أنّ الساحر لا يقلب الأشياء إلى أخرى حقيقة وبالواقع ، فإذا وقع من الساحر تغيير الأشياء إلى صورة أخرى فإنّه قد غيرّها في عين الرائي بالخداع والتمويه .

3- كانت المعاني اللغوية في المعاجم تحكي حقيقة السحر ، وقريبة من معنى كلمة التخيّل الواردة في القرآن الكريم ، فقالوا إنّ السحر معناه: الخديعة ، والحيلة ، والتمويه ، وصرف الشيء على غير وجهته وحقيقته . وقد بيّن ذلك السيد الخوئي (ت: 1413هـ) ، فقال: ((والتحقيق أن المتبادر عند أهل العرف من كلمة السحر والظاهر من استقراء موارد استعمالها وما اشتق منها عند أهل اللسان والمتصيد من مجموع كلمات اللغويين في



تحديد معناها : أن السَّحْر هو صرف الشئ عن وجهه على سبيل الخدعة والتمويه ، بحيث إن الساحر يلبس الباطل لباس الحق ويظهره بصورة الواقع ، فيرى الناس الهياكل الغريبة والأشكال المعجبة المخوفة ، والوجه في ذلك أن السَّحْر عمل خفي يحصل بالأسباب الخفية ، ويصور الشئ على خلاف صورته الواقعية ، ويصرفه عن وجهه بالخدعة والتمويه ، ويقبله من جنسه في الظاهر لا في الحقيقة ، بحيث إن الساحر يسحر الناظرين حتى يتخيلوا أنه يتصرف في الأمور التكوينية ويغيرها عن حقيقتها إلى حقيقة أخرى ، فيريهم البر بحرا عجبا تجري فيه السفن وتتلاطم فيه الأمواج ، من غير أن يلتفتوا إلى كونه خدعة وتمويهها واطهارا للباطل بصورة الحق))، [الخوئي، أبو القاسم الموسوي، 1 / 448].

4- هناك خلط بين واقعية وحقيقة السَّحْر وبين الأثر المترتب على السَّحْر ، إذ لا ملازمة بينهما ، فليس بالضرورة أنه كلما كان هناك أثر للسحر فإنه لا بد أن يحكم بواقعيته وحقيقته ، فقد يكون السَّحْر أمرا تخيليا وقد وقع بالخدعة والتمويه ، ومع ذلك يكون له أثر بالخارج، ففوق السَّحْر شيء ، وأثره شيء آخر، فحتى لو لم يكن ((للسحر حقيقة واقعية ، ولكن قد يترتب عليه أمر واقعي ، فقد يظهر الساحر للمسحور شيئا مهولا فيخاف هذا ويصبح مجنونا ، أو يريه بحرا وفيه سفينة جارية فيحاول المسحور أن يركبها فيقع من شأق ويموت ، فإن الجنون والموت وإن كانا من الأمور الواقعية إلا أنهما ترتبا على الأمر التخيلي الذي هو السَّحْر، ويقرب ما ذكرناه ما عن صاحب العين ، من أنه يقلب الشئ من جنسه في الظاهر ولا يقبله عن جنسه في الحقيقة))، [التبريزي، محمد علي التوحيدي، (1426 - 2005)، 35 / 442] ، ولعل منشأ الاختلاف في تعريف السَّحْر بين العلماء كان سببه هذا الخلط ، وهذه الملازمة .

ويتلخص أن السَّحْر ليس من الأمور الخارقة للعادة ، وإن كان لسان بعض العلماء ذلك ، ويمكن أن يكون التعبير بأنه خارق للعادة هو من باب التجوز والمسامحة ، وعلى فرض من يعدُّه من الأمور الخارقة ، فحينئذ فلا بد من تقييد هذه الخارقة ببعض العادة ، لا تمامها ، فيكون خرقاً جزئياً ، لا خرقاً كلياً ، وكما هو في المعجزة والكرامة بعد ما عرفت من حقيقة الخارقة .

سادساً: الفرق بين السَّحْر والمعجزة والكرامة

في ضوء ما تقدم يمكن التفرقة بين السَّحْر والمعجزة والكرامة بقيد الخارقة، فالمعجزة والكرامة كلاهما أمران خارقان للعادة والطبيعة ، فهذا القيد وحده يمكن أن يخرج حد السَّحْر منهما ، بلا حاجة للقيود الأخرى التي ذكر العلماء جملة منها ، إذ يمكن عدّها قيوداً توضيحية .

وما ذكره العلماء من الفروق، فهي تارة ترجع الى نوع العمل، فإن كان مما يأتي بالتعلم فهو السَّحْر ، وإن أبى ذلك فهو المعجزة ، أو الكرامة ، وتارة أخرى ترجع الى القائم بالعمل ، فالأنبياء والأولياء تجري المعجزة والكرامة على أيديهم ، ولا يصدر عنهم السحر ، وهو بخلاف الفاسق فيمكن أن يكون ساحراً ، وفي الوقت نفسه لا يمكن أن يصدر عن الفاسق معجزة ، أو كرامة ، وثالثة جعلوا الفارق بينها بالمعارضة وعدم المعارضة ، فالسحر مقدورٌ عليه ، بخلاف المعجزة والكرامة فلا يمكن معارضتهما والقدرة عليهما من قبل الآخرين، وغيرها من الفروق، ومن أراد فليراجع، [التفتازاني، (1401 - 1981م)، 2 / 206] ، ولا حاجة لذكرها ومناقشتها، بعد ما عرفت من أن السَّحْر خارج عن وصف الخارقة .

مثال على السَّحْر:

وخبر ما يمثل له بما ورد في قصة موسى عليه السلام حين أخبر القرآن الكريم عن ذلك وكيف أن فرعون قد نعت نبي الله تعالى بالسحر ، فجمع له السحرة ليأتوا بسحر مثله، وقد ضربوا لذلك موعداً ومكاناً وهو في ضحى يوم الزينة ، وحين اجتمع فرعون وسحروته وموسى عليه السلام قال السحرة لفرعون ابدأ أنت ياموسى ، والقرآن الكريم يصور لنا هذا اللقاء، فقد قال الله تعالى ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْفَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَىٰ مِنْ أَلْفَىٰ ۖ قَالَ بَلْ أَلْفُوا بِأَفْئِدَتِهِمْ وَأَعْيُنُهُمْ يَحْضِلُونَ فِيهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُمْ تُسْعَىٰ ۖ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةٌ مُوسَىٰ ۖ فَكُنَّا لَا تَخْفَىٰ عَلَيْكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ ۖ وَأَلْقَىٰ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْفَفًا مَآ صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدًا سَاحِرًا وَلَا يَفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ۖ فَأَلْقَىٰ السَّحْرَةَ سَجْدًا قَالُوا أَمَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ۗ﴾ ، [طه / 65-70].

1- وموضع الشاهد هو حين ألقى هؤلاء السحرة الحبال والعصي فإنه قد تخيل لموسى والحاضرين أنها تسعى ، حتى أنه عليه السلام أوجس في نفسه خيفة، فهنا طمأنه الله عز وجل إذ يقول له أن ذلك محض تخيل وليس حقيقة، فلا تخف ، وهذا في الواقع هو حقيقة السحر التي أسلفنا الحديث عنها ، وليس الأمر الذي صدر عن السحرة إلا خداع للناظرين وتمويه ، وهو غير مألوف لدى الناس ، وكل ذلك من جراء تعلمهم بعض الخدع والحيل التي



يجهلها الناس ، ولهذا حينما وصف القرآن الكريم بقوله (يُخَيَّلُ) ((لأنها لم تكن تسعى حقيقة ، وإنما تحركت ، لأنه قيل إنه كان جعل داخلها زئبق ، فلما حميت بالشمس طلب الزئبق الصعود ، فتحركت العصي والحبال ، فظن موسى أنها تسعى))، [الحوئي ، أبو القاسم، (1395 - 1975 م) ، 7 / 186] ، ومن الواضح أنّ ذلك لا يُعد أمراً خارقاً عن العادة- بالمعنى المتقدم- ؛ لأنه قابل للتعلم ، وهو بخلاف الأمر الخارق عن العادة حقيقة وواقعاً فهو غير قابل للتعلم وليس خداعاً ولا تمويهاً للناظر ، فهذا سجد السحرة وأمنوا بالله تعالى حين رأوا موسى عليه السلام وهويلقي عصاه فتلقف ماصنعوا من السحر ، فعملوا حينئذٍ أنّ ذلك خارج عن حقيقة السحر وإنه أمر معجز لا يأتي به إلا الأنبياء والمرسلين وممن كان مرتبطاً بالسماء .

أما السحر في واقعنا وحياتنا مما لا يخفى على كثير من الناس ، فقد استعمله بعضهم للتفريق بين الزوجين ، والعداوة والبغضاء بين الناس ، وغير ذلك من الأفعال القبيحة ، وهؤلاء إنما يتوارثونها فيما بينهم فيتعلمون ويُعلمون لغايات مختلفة كالمال والجاه والمنصب ، وماشاكل ذلك ، فهذا ورد النهي والتحريم على لسان القرآن الكريم والسنة المطهرة حتى وصف الساحر بأنه بمنزلة الكافر .

الخاتمة

في ضوء ما تقدم يمكن للبحث أن يدعي تحصيله لجملة من النتائج ويمكن بيانها فيما يلي :

- 1- الأمر الخارق عن العادة والطبيعة ليس من المحالات العقلية وإنما في حدود العقل وأحكامه .
- 2- الخارقة في الأفعال تتحقق وفق شروط منضبطة ، وتأتي بمعنى الاستقرار والدوام والثبوت .
- 3- اضطراب العلماء في تحديد مصاديق الخارقة من جهة أعدادها وأوصافها .
- 4- للخارقة مصداقان حقيقيان لا ثالث لهما هما المعجزة والكرامة وما خلاهما محض توهم واشتباه .
- 5- الخارقة للمعجزة والكرامة هي جنسهما القريب ، وفصلهما هو دعوى النبوة ، وعدمها .
- 6- يصدر عن الأنبياء أو المرسلين المعجزات والكرامات على حد سواء ، بخلاف الأولياء الذين إذ يصدر عنهم الكرامات فحسب دون المعجزات ، ونسبة المعجزات اليهم إنما هو بلحاظ الخارقة .
- 7- إطلاق الأمر الخارق عن العادة والطبيعة على مصطلح السحر يكون من باب التجوز والمسامحة .
- 8- مصاديق الخارقة غير الحقيقية - المتوهمة - كثيرة ، كالشعبذة ، والكهانة ، والتنجيم ، وغيرها ، إلا أن أقربها للتوهم هو السحر ، وما خلاه أبعد .

المصادر والمراجع

- خير ما يبتدأ به القرآن الكريم
- الأزهرى: أبو منصور محمد بن أحمد بن الهروي، (ت: 370هـ) .
- 2- تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط 1، 2001م.
- الأتباري ، أبو بكر محمد بن القاسم
- 3- الزاهر فى معانى كلمات الناس ، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، دار النشر / مؤسسة الرسالة - بيروت ، الطبعة : الأولى، - 1412 هـ - 1992
- الإبراهيمي ، عبد الجواد
- 4- نظرة حول دروس في العقيدة الإسلامية ، تحقيق: إعداد عبد الجواد الإبراهيمي ، مؤسسة أنصاريان - قم - إيران، الطبعة : الأولى، سنة الطبع : 1417
- الألوسي ، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي (ت: 1270هـ)
- 5- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، الناشر دار إحياء التراث العربي- بيروت
- الأملى ، حيدر (ت: 782هـ)
- 6- تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم ، تحقيق: السيد محسن الموسوي التبريزي، مؤسسه فرهنگى و نشر نور علي نور، الطبعة : الرابعة ، سنة الطبع : 1428
- التبريزي ، جواد (ت: 1427هـ)
- 7- الأنوار الإلهية في المسائل العقائدية ، دار الصديقة الشهيدة عليها السلام ، الطبعة : الأولى، سنة الطبع :



1422

- التبريزي، ميرزا محمد علي التوحيدي(ت: 1413هـ)
- 8- مصباح الفقاهة في المعاملات - المكاسب المحرمة (موسوعة الإمام الخوئي)، تحقيق : مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي ، مؤسسة إحياء آثار الإمام الخويي قدس سره ، الطبعة : الأولى ، سنة الطبع : 1426 - 2005
- التفزازاني (ت: 792هـ)
- 9- شرح المقاصد في علم الكلام ، دار المعارف النعمانية ، الطبعة : الأولى، سنة الطبع : 1401 - 1981م
- الجرجاني: علي بن محمد بن علي (ت: 816هـ).
- 10- التعريفات ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي – بيروت - الطبعة الأولى ، 1405
- الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي الرازي(ت: 370هـ)
- 11- أحكام القرآن ، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، 1405
- الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت: 393هـ)
- 12- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين – بيروت ، ط4، 1407 هـ - 1987 م
- حسين بن عبد الوهاب (ت: ق5هـ)
- 13- عيون المعجزات' الناشر : محمد كاظم الشيخ صادق الكتبي ، سنة الطبع : 1369
- الحلبي ، أبو جعفر محمد بن منصور بن أحمد بن إدريس (ت: 598هـ)
- 14- كتاب السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين - بقم المشرفة ، الطبعة : الثانية ، التاريخ : 1410 هـ . ق
- الحلبي، العلامة جمال الدين أبي منصور الحسن بن يوسف بن المطهر (ت: 726هـ)
- 15- تحرير الأحكام ، تحقيق : الشيخ إبراهيم البهاري ، مؤسسة الإمام الصادق (ع)، الطبعة : الأولى ، سنة الطبع : 1420
- الخطابي، حمد بن محمد بن إبراهيم البستي أبو سليمان
- 16- غريب الحديث، تحقيق : عبد الكريم إبراهيم العزباوي ، جامعة أم القرى - مكة المكرمة ، 1402
- الخوني ، أبو القاسم الموسوي (1413هـ)
- 17- البيان في تفسير القرآن ، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان ، الطبعة الرابعة ، (1395 - 1975 م) .
- 18- مصباح الفقاهة، الناشر : مكتبة الداوري – قم الطبعة : الأولى المحققة
- 18- صراط النجاة (تعليق الميرزا التبريزي) ، الناشر : دفتر نشر برگزیده ، الطبعة : الأولى ، سنة الطبع : جمادي الأولى 1416 .
- ابن دريد، أبو بكر، محمد بن الحسن (ت: 329هـ)
- 19- جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين ، الطبعة الأولى ، 1987،
- الدينوري ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة(ت: 276هـ)
- 19- غريب القرآن ، تحقيق: أحمد صقر ، الناشر: دار الكتب العلمية ، سنة 1398هـ - 1078م .
- الرازي: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (ت: 666هـ).
- 20 مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد ، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا ط5، 1420هـ - 1999م .
- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت: 502هـ)
- 21- المفردات في غريب القرآن، دفتر نشر الكتاب، الطبعة : الثانية، سنة الطبع : 1404
- الراوندي، قطب الدين(ت: 573هـ)
- 22- الخرائج والجرائح ، تحقيق : مؤسسة الإمام المهدي (ع) / بإشراف السيد محمد باقر الموحد الأبطحي، مؤسسة الإمام المهدي - قم المقدسة، الطبعة : الأولى ، كاملة محققة ، سنة الطبع : ذي الحجة 1409
- 23- قصص الأنبياء، الناشر : الهادي، إيران ، قم، الطبعة الأولى(1418 هـ . ق ، 1376 هـ)



- الزرقاني ، محمد عبدالعظيم
23- مناهل العرفان في علوم القرآن ، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات ، دار الفكر - بيروت ، الطبعة الأولى ، 1996 ،
- الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي (ت: 538هـ)
24- الفايق في غريب الحديث ، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة : الأولى ، سنة الطبع : 1417 - 1996 م
- السبحاني، جعفر
25- العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت (ع) ، تحقيق : نقل إلى العربية : جعفر الهادي، مؤسسة الإمام الصادق (ع)، الطبعة : الأولى، سنة الطبع : 1419 - 1998 م
- السقاف ، حسن بن علي
26- صحيح شرح العقيدة الطحاوية ، دار الإمام النووي - عمان - الأردن، الطبعة : الأولى ، سنة الطبع : 1416 - 1995 م
- السيوطي، أبو الفضل عبد الرحمن جلال الدين (ت: 911هـ)
27- معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم ، تحقيق : أ.د محمد إبراهيم عبادة، دار النشر : مكتبة الآداب - القاهرة / مصر - الطبعة : الأولى، 1424 هـ - 2004 م
- الشريف المرتضى، (ت: 436هـ)
28- رسائل الشريف المرتضى ، تحقيق : تقديم : السيد أحمد الحسيني / إعداد : السيد مهدي الرجائي ، دار القرآن الكريم - قم ، (1405)
- ابن شهر آشوب ، مشير الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن شهر آشوب ابن أبي نصر بن أبي حبيشي السروي المازندراني(ت: 588هـ)
29- مناقب آل أبي طالب ، المطبعة الحيدرية في النجف ، 1376 هـ 1956 م
- الشهيد الثاني ، زين الدين الجبعي العاملي (ت: 965هـ)
30- الكتاب : الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية ، تحقيق : السيد محمد كلانتر، منشورات جامعة النجف الدينية، الطبعة : الأولى - الثانية ، سنة الطبع : 1386 - 1398
- الشيرازي ، محمد الحسيني(ت: 1422هـ)
31- تقريب القرآن إلى الأذهان، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان، الطبعة : الأولى ، سنة الطبع : 1424 - 2003 م
- الطبرسي: أبو علي فضل بن الحسن (ت: 548هـ).
32- الاحتجاج ، تحقيق : تعليق وملاحظات: السيد محمد باقر الخرخسان ، دار النعمان للطباعة والنشر - النجف الأشرف، سنة الطبع : 1386 - 1966 م
- الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن (ت: 460هـ).
33- التبيين في تفسير القرآن، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي،
34- المبسوط في فقه الإمامية ، تحقيق : تصحيح وتعليق : السيد محمد تقي الكشفي، المكتبة المرتضوية لإحياء آثار الجعفرية، سنة الطبع : 1387
- الطوسي، ابن حمزة عماد الدين أبي جعفر محمد بن علي(ت: 560هـ)
35- الثاقب في المناقب، تحقيق : الأستاذ نبيل رضا علوان، المطبعة : الصدر - قم المقدسة، الطبعة : الثانية / 1412
- ابن عابدين ، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز الدمشقي الحنفي (ت: 1252هـ)
36- رد المحتار على الدر المختار، دار الفكر - بيروت ، الطبعة الثانية ، 1412هـ - 1992م .
عتر ، نور الدين محمد الحلبي
37- علوم القرآن الكريم ، الناشر : مطبعة الصباح ، الطبعة الأولى ، 1414هـ - 1993م .
ابن عرفة، أبو عبد الله محمد بن محمد الورغمي التونسي المالكي(ت: 803هـ)
38- المختصر الفقهي لابن عرفة، تحقيق: د حافظ عبد الرحمن محمد خير ، مؤسسة خلف أحمد الخبتور للأعمال الخيرية ، الطبعة : الأولى ، 1435هـ - 2014م .



- العسكري، أبو هلال (ت: 395هـ) - 39- الفروق اللغوية، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: شوال المكرم 1412
- العسقلاني، شهاب الدين ابن حجر (ت: 852هـ) - 40- فتح الباري، دار المعرفة للطباعة والنشر ببيروت - لبنان، الطبعة: الثانية
- العيني، بدر الدين (ت: 855هـ) - 41- عمدة القاري، دار إحياء التراث العربي - بيروت -
- ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن زكريا (ت: 395 هـ). - 42- معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.
- الفراهيدي: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت: 170هـ). - 43- كتاب العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ط، د.ت.
- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، أبو طاهر، مجد الدين الشيرازي (ت: 817هـ) - 44- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
- المجلسي، محمد باقر (ت: 1111هـ) - 45- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، مؤسسة الوفاء بيروت - لبنان، الطبعة الثانية المصححة، 1403 هـ - 1983 م
- المظفر، محمد الحسين (ت: 1375هـ) - 46- الإمام الصادق عليه السلام، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، 1397 هـ - 1978 م
- مغنية، محمد جواد (ت: 1400هـ) - 47- نظرات في التصوف والكرامات، منشورات المكتبة الأهلية - بيروت
- المقرئ، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد (ت: 845هـ) - 48- إمتاع الأسماع بما للنبي صلى الله عليه وسلم من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق وتعليق: محمد عبد الحميد النميسي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1420 هـ - 1999 م.
- ملاحويش، آل غازي عبد القادر - 49- بيان المعاني، الناشر: مطبعة الترقى - دمشق، سنة الطبع: 1382 ق
- النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل (ت: 338هـ) - 50- إعراب القرآن، تحقيق د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب - بيروت، سنة النشر 1409هـ - 1988م
- النراقي، المحقق، أحمد بن محمد مهدي (ت: 1244هـ) - 51- مستند الشيعة، تحقيق: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث - مشهد المقدسة، الناشر: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث - قم، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ربيع الأول 1415
- النيسابوري، أبي عبد الله الحاكم (ت: 405هـ) - 52- المستدرک علی الصحیحین، دار المعرفة بیروت - لبنان